



السنة
الثانية عشرة
آذار 2014

- ملف العدد: الربيع الكوردي.. مابعد الانتفاضة والهجرة المليونية
- صحوة الوعي الكوردي
- النهضة وتجديد الفكر الديني
- قبول الآخر هو الحل

مجلة سياسية ثقافية عامة يصدرها شهرياً مكتب الإعلام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

Issued, A political Cultural General Monthly Magazine

السنة الثانية عشرة العدد (١٣١) شباط ٢٠١٤

الموقع الإلكتروني: http://alhiwarmagazine.blogspot.com

البريد الإلكتروني: Alhiwar2003@yahoo.com

العنوان: أربيل ـ محلة طيراوه / مقابل نقليات الشمال / قرب المركز الثاني للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

محتويات العدد

كلمة الحوار	رئيس التحرير	٤
ملف العدد		٥
- حين انتفض الكورد	المحرر السياسي	٦-٩
- مشاهد ربيعية	صبحي الداودي	١٠-١٨
- بين السويد وأمريكا والكويت	محسن جوامير	١٩-٢١
- ربيع سبق الربيع	سالم الحاج	٢٢-٢٥
قراءات سياسية / كوردستان والعراق حتى متى؟!	أحمد الزاويتي	٢٦-٢٧
دراسات		٢٨
- صحوة الوعي الكوردي (١-٢)	سعد الزيباري	٢٩-٤٣
- في ذكرى استشهاد العلامة ناصر السبحاني (١-٢)	عمر عبدالعزيز	٤٤-٥٣
- العلاقة بين الأستاذ والطالب في الحضارة الإسلامية (١-٢)	الدكتور ناصر عبدالرزاق	٥٤-٦٠
- فقه هبة الأبناء	عبدالباقي يوسف	٦١-٦٥
مدخل إلى قراءة في الإشكالية الحضارية (٢-٢)	محمد رشدي عبيد	٦٦-٧٤

- الاستشراق الفرنسي ودوره في التأسيس للحملة الفرنسية (٢-٢)	عمر جاسم محمد	٧٥-٨٠
بصراحة / لكي لا ينتج صمتنا دكتاتورية جديدة	صلاح سعيد أمين	٨١
مقالات		٨٢
- الإقليم بين رهانات الداخل وتهميش الخارج	زيرفان البرواري	٨٣-٨٥
- النهضة وتجديد الفكر الديني	هفال برواري	٨٦-٨٩
- الفقيه والفيلسوف بين العقل والنقل	عبدالكريم يحيى الزيباري	٩٠-٩٤
أدب وفن		٩٥
- أرق الغريب (شعر)	الدكتور وليد الصراف	٩٦-٩٧
مطارحات ثقافية / منظمات المجتمع المدني في العراق (الديمقراطي)	محمد صادق أمين	٩٨-٩٩
تراثيات		١٠٠
- كتاب الموسيقى الكبير	نبيل فتحي حسين	١٠١-١٠٣
أخبار وتقارير		١٠٤
- أخبار		١٠٥-١٠٨
- تقارير		١٠٨-١١٩
آخر الكلام / قبول الآخر هو الحل	محمد واني	١٢٠

مخاض الكورد

كلمة العدد

انتفض الكورد ربيع عام ١٩٩١، وكانت تلك الانتفاضة الشعبية حدثا مهما ومفصليا، في التاريخ الحديث لشعبنا، حيث أنها – فضلا عن أبعادها السوسيولوجية الثورية – رسمت خارطة المستقبل لأبناء شعبنا في قادم الأيام.. واليوم وبعد مرور أكثر من عقدين من الزمن، على هذه الانتفاضة الشعبية الجماهيرية، وبعد أن زال النظام الذي ثار عليه الشعب، وتسنم نظام آخر مقاليد الأمور في (بغداد)، بدعم ومساندة ومساهمة مباشرة من الكورد، ترى ما الذي يمكن قراءته من ربيع الكورد في العراق؟!

لقد اقترب الكورد خطوة من تحقيق أمانيهم القومية، في الإدارة الذاتية، والحكم المحلي، وهم الآن أفضل ما يكونون حالا، على كافة المستويات: السياسية والاقتصادية والثقافية و .. وقد بدأت ملامح شخصية دولية لهم في التشكل، مما يمكن اعتباره مؤشرا على ما يمكن أن يتطور إليه الوضع، إن استمرت خطواتهم هذه، واستطاعوا أن يطوروا ما بدأوا به.. وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يقال بشأن الأوضاع الداخلية للإقليم، وظاهرة الفساد المستشري، واحتكار السلطة، والكانتونات، وعلى الرغم من إخفاق الكورد – والكلام هنا بالطبع عن القادة السياسيين – في الاحتفاظ بالمكاسب التي كان يفترض بهم الحصول عليها، بعد سقوط النظام السابق، وعلى الرغم من أن (كركوك)، وبقية المناطق الكوردية الأخرى، لم تزل (مناطق متنازع عليها)، ولم يحسم أمر عودتها إلى الإقليم بعد، وعلى الرغم من المشكلات الكثيرة العالقة بين الإقليم وبغداد، والتي يكفي أي منها لإشعال فتيل أزمة، قد تكون مدخلا إلى أزمات لا تنتهي، وعلى الرغم من أن قادة (العراق الجديد)، لا زالوا يفكرون بنفس الطريقة التي كان عليها أسلافهم.. على الرغم من كل ذلك، فإن الكورد، وإقليم كوردستان، قد أثبتوا بما لا مزيد عليه أن ربيعهم كان مزهرا، وأن تضحياتهم لم تذهب سدى، وأن ملامح المستقبل الذي يرسمونه، مشرقة!

إن أهم ما في الصورة كلها، أن النظام السياسي الذي اختطه الكورد لأنفسهم، هو نظام يحمل نفسا ديمقراطيا واضحا، نفس يمكن بعد التخلص من عبء وتركة الشوفينيات التي عاشوا في ظلها، أن يكون نواة لنظام راشد، يزهر في ظله الربيع الذي طالما تاقوا إليه، وضحوا في سبيله.. أما المطبات والعوائق الآنية – الداخلية والخارجية – التي تواجههم اليوم، فإنها أشواك الربيع، ومنغصاته، ولا بد من التعامل معها بالطريقة المناسبة، لكي يؤتي الربيع ثماره، ويحقق آثاره! □

رئيس التحرير

ملف العدد

- حين انتفض الكورد — المحرر السياسي
- مشاهد ربيعية — صبحي الداودي
- بين السويد وأمريكا والكويت — محسن جوامير
- ربيع سبق الربيع — سالم الحاج

حين انتفض الكورد في آذار ١٩٩١

إعداد: المحرر السياسي



إرهاصات الانتفاضة

ليس مبالغاً فيه القول إن إرهاصات اندلاع الانتفاضة في كوردستان، والعراق، ضد النظام السابق، بانت تباشيرها قبيل أشهر من سنة ١٩٩١، بل سبقتها بأعوام، لربما تعود إلى بداية استيلاء حزب البعث على السلطة في العراق سنة ١٩٦٨، فالانقلاب البعثي في السنة المشار إليها جرّ على الشعبين الكوردي والعربي في العراق الويلات من عمليات جينوسايد ومقابر جماعية وعشرات المجازر التي راح ضحيتها الآلاف بين قتيل ومفقود ومصاب.

الظروف المؤاتية للانتفاضة

اندحار قوات النظام العراقي السابق في حرب الخليج الثانية "غزو الكويت"، من قبل قوات ثلاثين دولة أجنبية وعربية، احتشدت في شبه الجزيرة العربية آنذاك لذاك الغرض، شكلت ظروفاً مؤاتية للغاية، فقد كان نظام بغداد مرتعشا ويفقد السيطرة على أجزاء من المنطقة الجنوبية، إلى أن اندلعت انتفاضة شعبية سميت بـ"الانتفاضة الشعبانية"،

انحصرت في بادىء الأمر بمحافظة البصرة، وامتدت شرارتها لباقي المحافظات الجنوبية، وكانت متزامنة مع الانتفاضة الكوردية في كوردستان.

وانتفضت كوردستان

وانتفضت مدن كوردستان الجنوبية الواحدة تلو الأخرى، فقد كان لمدينة "رانية" قصب السبق في تطهير أرضها وسمائها من الاحتلال البعثي، الذي عاث فساداً وقتلاً وتخريباً في هذا الجزء من كوردستان الكبرى لعقود، بعد أن تهيأت الأرضية المناسبة والاستعداد الشعبي، وانطلقت الشرارة الأولى لهذه الملحمة في الخامس من آذار من عام ١٩٩١.

اتساع رقعة الانتفاضة

وقد اتسعت رقعة الانتفاضة لتصل إلى مدينة السليمانية في السابع من آذار، لتنتفض هذه المدينة بالكامل، حيث استطاع أبناؤها أن يسيطروا بشكل كامل على الدوائر الأمنية والإدارية فيها، وهرب منتسبوها من عناصر النظام، بعد أن انهاروا أمام الضربات الموجعة التي لقنها لهم مقاتلو الانتفاضة، وبذلك تحررت مدينة السليمانية في الثامن من آذار/ ١٩٩١، وامتدت رقعة الانتفاضة أكثر فأكثر لتصل إلى (أربيل) في ١٩٩١/٣/١١، واستطاعت أن تزيح الاحتلال الذي كان يخيم على هذه المدينة كسائر مدن كوردستان الأخرى.

كركوك نهاية المطاف

واصل أبناء الانتفاضة تقدمهم بخطى متسارعة على طريق النصر والتحرير ليحرروا مدناً عدة، دهوك، حلبجة، آميدي، مخمور، زاخو، آكري، دربنديخان، كلار، جوارتا، بنجوين، سيد صادق، خانقين، وجميع أقضية ونواحي كوردستان، لينتهي بهم المطاف في مدينة (كركوك)، التي حرروها في العشرين من آذار/ ١٩٩١، لينهوا بذلك المرحلة الأخيرة من هذا السفر الخالد.

الجبهة الكوردستانية

كانت الجبهة الكوردستانية تجربة سياسية جيدة – إلى حد ما – لأنها استطاعت أن تضم أحزاباً رئيسة في الحركة التحررية الكوردية، وقد تمكنت هذه الأحزاب، المنخرطة في إطار هذه الجبهة، من التصدي لإدارة الواقع الجديد، الذي تشكل إثر انتفاضة شعب كوردستان وهجرته المليونية..

لجان شعبية لمساندة البيشمركة

شكلت المجموعات الشبابية في مناطقها السكنية لجاناً شعبية لمساندة قوات البيشمركة لحماية أمن المواطنين وممتلكاتهم، ولسد الفراغ الأمني، وقامت بنصب السيطرات وتفتيش المركبات لمنع أي خرق أمني، وكذلك لرفع معنويات الجماهير، وقد نجحت بشكل نسبي في مهامها.





تقهقر الانتفاضة

لضعف التخطيط، وعدم التنسيق الكافي بين القوى والجماهير، ولقلة الوعي السياسي والفكري، لم تستطع الانتفاضة الصمود بوجه جبروت النظام، فخبت نيرانها مؤقتاً وبسرعة فاجأت الرأي العام العالمي والمحلي، رغم محاولات قيادات الجبهة الكوردستانية الحفاظ على قدر من الثبات الميداني والتخطيط الإداري.

الهجرة المليونية

لم تدم الفرحة بعد الانتفاضة طويلاً، حيث أن رأس النظام في بغداد كان سالماً، ولا زالت بعض قواته من الحرس الجمهوري بكامل عدتها وعددها تحت إمرته ورهن إشارته، ورأى الناس ماذا فعل صدام وبقايا قواته بانتفاضة الجنوب، وكانت مأساة (حلبجة)، و(الأنفال)، لا تزال حية في ذاكرة الكورد، وبدأت رحلة الهجرة حيث أن ما يقارب المليوني مواطن هجروا مناطقهم، تاركين أرضهم ومنازلهم وما يملكون، هائمين على وجوههم سيراً على الأقدام، قاطعين مئات الكيلومترات في أراض جبلية وعرة مرهقة، يعانون من البرد والجوع، ولم تكن هذه الهجرة هروباً من الموت وطلباً للنجاة والحياة، بقدر ما كانت هروباً من حياة لم يكونوا يرغبون بالعيش فيها تحت ظلم طاغية.

المنطقة الآمنة ورحلة العودة

وفي منتصف شهر نيسان من العام نفسه صدر قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (٦٨٨) بإنشاء منطقة آمنة للكورد في كوردستان العراق، شمال خط

العرض (٣٦)، طردت منها قوات الجيش العراقي. وهكذا بدأت هذه الملايين البشرية برحلة العودة إلى مساكنها وممتلكاتها، والتي كان أغلبها قد سُرق ونُهب.

استقرار نسبي وانتخابات

وبعد العودة والاستتباب النسبي للأوضاع في مدن كوردستان، خاصة بعد انسحاب إدارات النظام، ولملء الفراغ، وتسيير الشؤون العامة، أجريت انتخابات ١٩ أيار ١٩٩٢، وهي أول انتخابات حرة جرت في تاريخ كوردستان العراق. وكان إقبال الناخبين عالياً جداً، وكانت الانتخابات الخطوة التي تمكن شعب كوردستان من اختيار ممثليه، بعد عقود من الدكتاتورية.

وأدت تلك الانتخابات الإقليمية إلى تشكيل أول مجلس وطني كوردستاني (أصبح اسمه لاحقاً البرلمان الكوردستاني)، وإلى إقامة حكومة إقليم كوردستان. وقررت قيادة إقليم كوردستان وشعبه البقاء جزءاً من العراق، واعتماد جميع القوانين الوطنية، والالتزام بها، باستثناء القوانين التي تنتهك حقوق الإنسان والحقوق العامة. ❒

الأساتذة الكرام..

أعزاءنا القراء..

في النية أن يكون ملف العدد القادم لمجلتكم (الحوار)، حول محور دقيق وشائك، وخاصة في ظل التطورات التي تمر بها دول العالمين العربي والإسلامي، ودور الحركات الإسلامية في التغيرات الجارية، وهو محور: (الحركات الإسلامية والخطاب الإصلاحي).. يرجى من السادة الراغبين في المشاركة إرسال نتاجاتهم على العناوين المثبتة أول صفحات المجلة، مع الشكر والتقدير للجميع..

مشاهد ربيعية



أ.صبحي الداودي

المشهد الربيعي الأوّل

✍في ربيع من عام ١٩٦٨م، بينما كنتُ أتجوَّلُ في (منى)، بعد رمي الجمرات، شاهدتُ لوحةً كبيرةً قد كُتِبَ عليها عنوانٌ لفت انتباهي، وكان العنوانُ هو (معسكرُ الإخوان المسلمين)، فاستأذنتُ الدخُول مِنَ الحارِس الذي كان على الباب، فرحّبَ بي وأدخلني إلى خيمةٍ كبيرة، كانت معدّة لإلقاءِ الدروس والمحاضرات، وكان الحضُور كلهّم من إخوانِ مصر، الذين فرّوا مِنْ حكمِ الطاغية (جمال عبدالناصر)، وعندما قدَّمْتُ نفسي على أنني مِنْ إخوان الكورد العراقيين، استغربُوا كثيراً، فقال أحدهم: هل الكورد مسلمُون؟ فضحِكْتُ، وشرّ البليّة ما يُضحك، ولم أتمالَك نفسي أمام هذا الجهلِ الصّارِخ بشعبٍ فيه (ابن الصلاح) و(ابن الحاجِب) و(ابن تيمية) و(صلاح الدين) و(النورسي) و(الزهاوي)، فقلتُ لهم: كان المفرُوض عليكم أن تعرفُوا تاريخكم على الأقل، فقد حكمِ الكورد (مصر) في فترتين: الأُولى: هي فترةُ حُكم الأيوبين، والثانية: هي فترة حُكم عائلة (محمَّد علي باشا)، فقد كانت أُسرة (محمَّد علي باشا) من (جزيرةِ ابن عُمر)، نزحت إلى (ألبانيا)، وعاشت في مدينة (قُوْلَه)، ومنها نزحتْ إلى مصر.

لقد آلمني هذا السؤالُ كثيراً، وأثارَ في نفسي استغراباً ودهشةً مِنْ قومٍ يجهلُون شعباً كان له فضلٌ كبيرٌ على الأمّة الإسلاميَّة، فبدأتُ ألومُ نفسي وبني قومي على إهمالِنا في تعريفِ شعبنا للنَّاس، وقرَّرْتُ بيني وبين نفسي أن أُساهِمَ وأُشاطِرَ الآخرين في تعريفِ وبيانِ الخصائِص المشروعة للشعبِ الكورديّ.

وكنتُ أقولُ: إلى متى يدفعُ الشعبُ الكورديّ ضريبةَ جهلِ النّاس بهم؟ وكثيراً ما كنتُ أردِّدُ وأقول: "هب أن كوردستان ليستْ وطناً، وإنما هو فندق، وأن الأخ الداعية الكوردي ليسَ مواطِناً، وإنما هو نزيلُ هذا الفندق، فهل مِنَ المنطق والدين أن لا يساهم في إطفاءِ حريقٍ شبَّ في الفندق، بذريعةِ أن معه في الفندق أناسٌ ليسوا على وِفاق معه". لذلك آليتُ على نفسي أن أكونَ مُواطناً كورديّاً، لا ضيفاً ثقيلاً طارئاً، مواطناً يدفعُ ضريبةَ الانتماء، ليكون لهُ على الأقلِ حقّ التمتّع بربيعِ كوردستان.

المشهد الربيعي الثاني

عند مجيءِ البعثِ في ٣٠ تموز عام ١٩٧٠م، وجد نفسه أمام قضيَّةٍ معقّدة جِدّاً، وهي القضيَّة الكورديَّة، والتي كانت ولا تزالُ هي السببُ المباشِر، أو غير المباشِر، وراء سقوطِ جميع الحكُومات العراقيَّة، منذ تأسيسِ دولةِ العراق عام ١٩٢٠م. كان البعثُ يعرفُ جيِّداً أن مصيرَه وبقاءَه مرتبطٌ، إلى درجةٍ كبيرة، بكيفيَّة تعامُله مع هذهِ القضيَّة الحسَّاسة والحيويَّة.

في البدايةِ حاولُ البعثُ الاصطيادَ في الماءِ العَكِر، وذلك باتفاق مع أحد جناحي الحركةِ الكورديَّة، للانقضاضِ على الجناحِ الكورديّ الآخر، الذي كان هو المسيطر على الساحةِ السياسيَّة الكورديَّة، ومستحوذاً بجدارةٍ على الشعبِ الكورديّ آنذاك، ولكنَّ البعثَ لم ينجح في ذلك. بقيَ البعثُ مستمرّاً على طريقتهِ التآمرية هذهِ أكثر من عام، يستعينُ بجيشهِ، وبالمسلحين الكورد الموالين له، من المرتزقة، لعلّه يقتربُ من حلٍّ عسكريّ لهذهِ القضيَّة، ولكنّه وجد نفسَه أمام قضيَّةٍ لا تزيدها الأيَّامُ إلاّ تعقيداً واتساعاً، وقد بدأت تخرجُ من إطارها الداخليّ إلى إطارٍ دوليّ.

لذلك اضطرّ البعثُ الاتصالَ بقيادةِ الحركةِ الكورديَّة، طالباً إيَّاها التفاوض للوصُول إلى حلٍّ سياسيّ، وجرت مفاوضاتٌ بين قيادةِ الحركةِ وقيادةِ البعث العراقيّ، فتُوِّجَتْ هذهِ المفاوضاتُ باتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠م.

في مساءِ يوم ١١ آذار من عام ١٩٧٠م، كنتُ مع عددٍ مِنَ الإخوان، في زيارةٍ للأخ الأستاذ (سليمان القابلي) (رحمه الله) في بيته، وبينما كُنّا نتداول الحديث أعلن مذيع (راديو بغداد)، بأن رئيس الجمهوريَّة (أحمد حسن البكر) سيذيعُ بياناً مهمَّاً إلى الشعبِ العراقيّ، وكُنّا نتوقّع أن يكون البيانُ حول القضيَّة الكورديَّة، وذلك مِنَ الملابسات السياسيَّة التي كانت تطغى على الساحةِ العراقيَّة آنذاك، ولم يمرّ إلا دقائق معدودة حتّى بدأ رئيس الجمهوريَّة بقراءةِ بيان ١١ آذار عام ١٩٧٠م، فكانت

الحكومةُ تسمِّيهِ ١١ آذار، بينما الطرف الكورديّ كان يُسمِّيه ١١ آذار.

بعد انتهاءِ رئيس الجمهوريَّة من قراءةِ البيان، انبرى الأخ الأستاذ (سليمان) (رحمه الله) قائلاً: "هذا البيانُ لا يكفي ولا يُقدِّم حلاً جذريَّاً لهذهِ القضيَّة، ثمَّ توجَّه بالكلامِ إليَّ قائلاً: أستاذ صبحي، لو أنني كنتُ مكانَ البعثِ لقلتُ: يا أيها الكورد تعالوا أقيمُوا دولتَكم على حدودكم الجغرافيَّة، وأريدُ منكم فقط أن تكونوا معي في السياسة الخارجيَّة، وفي الدِّفاع".

كان هذا رأي الأخ (سليمان محمَّد أمين القابلي) التركمانيّ (رحمه الله) عام ١٩٧٠م، يوم كانتِ القيادات الكورديَّة لا تستطيعُ البَوح برأي كهذا. واليوم، بعد أربع وأربعين عاماً، أخذت هذهِ القياداتُ تتبنَّى رأياً كهذا بحذرٍ واستحياء.

في الحقيقةِ كانت اتفاقيَّة ١١ آذار عام ١٩٧٠م، خطوة بنّاءة، وأرضيَّة صالحة بين طرفي النزاع، ولكنَّها كانت تفتقرُ إلى حُسْنِ النيةِ والمصداقيَّة. فالجانبُ الكورديُّ، من كثرةِ ما عاناهُ مِنْ غدرٍ وخيانة ونكثِ العهود والمواثيق، من جميعِ الحكوماتِ العراقيَّة، دون استثناء، كان يتعامَلُ مع هذهِ الاتفاقيَّة بحذر وريبة، والبعثُ لم يعقد هذهِ الاتفاقيَّة لأن البلد بحاجةٍ إليها، وإنما عقدها لحاجته هو إلى محطةٍ يلتقطُ فيها أنفاسَهُ، بعد أن أرهقته مشكلاته العسكريَّة والسياسيَّة، وإحراجاته الإقليميَّة والدوليَّة، لذلك فإن البعثَ لم يعقد هذهِ الاتفاقيَّة إلاّ وفي ذهنه خطط للتراجُع عنها، في الوقتِ الذي هو يُحدِّده، فقد وضع العراقيل تلو العراقيلِ أمام البنود المهمَّة لهذهِ الاتفاقيَّة، تارةً بالتأويل والتفسير غير الواقعي، وتارةً بالمماطلةِ والتسويف.

ثُمَّ أخذ البعثُ يرسمُ الخطط، ويحيك المؤامرات، ويغدق الأموال، لاستمالةِ الأقزام وذوي النفوس الضعيفة.

لم تكتمِل السنة الأُولى من اتفاقيَّة آذار، إلاّ وتصدّى البعثُ لسيارةِ (إدريس البارزاني) في قلبِ (بغداد)، وأمطروها بوابل مِنَ الرصاص، ولكنَّه لَمْ يكنْ هو في السيارة، فجرح مَنْ كان فيها. ولم تكمل الاتفاقيَّة سنتها الثانية، إلاّ وأخذ البعثُ يحيك مؤامرة شيطانيَّة لاغتيالِ الزعيمِ الكورديّ (ملا مصطفى البارزاني)، إذِ استفادوا من حُبِّه وتقديرِهِ للعُلماء، فأرسلُوا عدداً مِنَ العُلماء، وهيأوا لهم ملابس جديدة ليلبسوها قبيل استقبالِهم للزعيمِ الكورديّ، وكانتِ الملابسُ تحتوي على موادٍ ناسفة، ولم يكنْ على علمٍ بذلك إلاّ الرجل المسؤول عن الوفد، فعندما وصلَ العلماءُ إلى مقر (البارزاني)، فَجَّرَهُم المسؤولُ عن طريقِ جهاز تحكّم عن بُعْد.

في يوم ١٢ آذار عام ١٩٧٠م، عمَّتِ الفرحةُ والفوضى جميع شوارع (كركوك). لقد خرجتِ المدينة عن بكرة أبيها، بكلِّ قومياتها، ابتهاجاً بهذهِ المناسبة، فخشينا نحنُ مجموعة مِنَ الكورد، أن تستغلّ العناصر الحاقدة هذا الوضع، فذهبتُ، ومعي الأستاذين (جهاد بابان) و(فاضل جمال)، إلى مقر (حزب البعثِ) في (كركوك)، وهناك شرحنا لهم الوضع في المدينة، وطلبنا منهم السيطرة على الوضعِ الأمنيّ، ومراقبة الشارِع بدقّة.

لم أجِدْ في حياتي حشوداً بشريّة كالتي خرجتْ إلى قرية (حصار)، احتفالاً بذكرى (نوروز) من عام ١٩٧٠م، حتّى إن كثيراً مِنَ العوائِل غير الكورديَّة، كانت تستعيرُ الملابس الكورديّة الزاهية، كي تحضر هي كذلك موقع الاحتفال. كان حقّاً حفلاً ممتعاً، وحشداً ربيعيَّاً، أنسى الكورد عذاباتِهم وحرمانهم وإقصاءَهم السياسيّ.

المشهد الربيعي الثالث

خلال الفترة (١٩٧٠-١٩٧٤)

أردتُ أن يكون لي حضوري ومساهمتي في بناءِ وتطويرِ المجتمعِ الكورديّ في (كركوك)، فدخلتُ ميدانَ المساهمةِ والتطوير عن طريق اختصاصي، وهو (التعليم)، وانتميتُ إلى منظمةِ (نقابةِ مُعلّمي كوردستان)، فأصبحتُ عضواً في الهيئةِ الإداريَّةِ لها، ثمَّ نائباً للرئيس.

كما عملتُ مشرفاً تربويَّاً، وبذلك تسنَّى لي الاتصالُ المباشِر بالمعلمين، وبمشاكِل الدراسة الكورديَّة، التي كانت من أهمِّ المشاكِل التي يُثيرها ويعيقها البعث، ولكنَّنا استطعنا أن نقفَ بكُلِّ صمُود أمامَ مؤامراتِهم في هذا الميدان، وكان الفضلُ يعودُ بالدرجةِ الأُولى إلى الأستاذ (فاتح محمَّد أمين)، الذي كان مُعاوناً للدراسةِ الكورديَّة في (كركوك).

وفي ربيع من عام ١٩٧٤م وصلَ الخِلافُ بين البعثِ والحركةِ الكورديَّة إلى طريقٍ مسدُود، فلم تفد معهُ المحاولات، ولا الاجتماعات التي عُقِدت بين الطرفين، فقرّر البعثُ إعلان الحكم الذاتي بمفردهِ، وبطريقتهِ الذاتيَّة، بعد أن استقوى نفسَهُ خلال السنوات الأربع المنصرمة، لذلك قرّرتِ القيادةُ الكورديَّة قطعَ جميعَ اتصالاتِها بالبعث، ومُعاودة القِتال، بعد إلحاحٍ مِنَ الشعبِ الكورديّ. وأخذ البيشمركة يتحصَّنون بمواقعهم وجبالهم من جديد، كما التحقَ المسؤولون، وكل مَنْ كان له موقفٌ مُعادٍ للبعثِ، بالحركة، كما التحقَ عشراتُ الألوف مِنَ النَّاس الاعتياديين بها.

ويؤسفني أن أقولَ إن الحركةَ الكورديَّة نسيت، في غمرةِ الحماسِ والعواطِف، أنَّ الملتحقين هؤلاءِ سيكونون عبئاً اجتماعيَّاً واقتصاديَّاً

وعسكريًا عليها، كما كان يبدو أن الحكومة كانت تشجّع هذا النزوح والالتحاق الجماعيّ، فهي لم تمنع أحداً مِنَ النزوح، علماً أن النازحين كلّهم كانوا يمرُّون عبر السيطرات الحكوميَّة، وعلى مرأى مفارز الجيش، وفي قناعتي كان وراء موقف الحكومة هذا هدفان: أولهما، كانت تعرفُ أن هؤلاءِ النازحين سيشكّلون واقعاً له تبعاته على الحركة، وثانيهما: أن نزوحَ الآلاف من العوائلِ الكورديَّة، من كركوك وخانقين وسنجار، يمهِّد الطريق لاستيطانِ العربِ مكانهم.

لم يكن الملتحقون بالحركةِ الكورديَّة يجمعهم دافعٌ واحِد، بَلْ كان لكُلّ دافعه الخاص، وهدفه المحدّد، فمنهم مَنْ دفعه حبّهُ وإخلاصه للقضيَّة الكورديَّة، فالتحقَ ليُسدي خدمةً، أو يسدُّ ثغرةً، ومنهم مَنْ كان يخافُ مِنْ بطشِ البعث، ومنهم مَنْ كان يتصوّر أن الالتحاقَ نزهةٌ أو سياحة تستغرقُ أيَّاماً، ثُمَّ يعود وقد أصبحَ بطلاً، دون أن يدخُلَ معركةً، ومنهم مَنْ كان يعرفُ أن أمورَهُ داخِل المنطقة المحرّرة تسيرُ على هواهُ، نتيجة قرابتهِ لمسؤول متنفّذ، ومنهم مَنْ جاءَ وهو يحملُ قلماً ودفتراً ليكتبَ مذكراتهِ، عسى أن يكون أسطورةً على غِرار (كاسترو) و(جيفارا).

كان قصفُ مدينة (قلعة دزه) يوم الأربعاء ١٩٧٤/٤/٢٤م، هو أعنفُ قصف وأكبر مأساة في ربيع ذلك العام، لم تشهدْ كوردستان مثلهُ من قبل، فقد خلف القصفُ وراءَهُ (١٣٠) شهيداً، إضافةً إلى الجرحى، وعشرات البيوتِ المهدّمة.

في يوم ١٩٧٤/٢/٢٨م، رجعتُ من (بغداد) إلى (كركوك)، فوجدتُ أن بقائي في (كركوك) هو الموتُ الأكيد، لذلِكَ ودّعْتُ أهلي وأودلاي عند الغروب، وتوجّهْتُ إلى مدينةِ (جمجمال)، والتحقتُ بجماعةِ (نقابةِ معلمي كوردستان/ فرع كركوك)، وبعد أن مكثنا في القرى المحيطةِ بهذهِ المدينةِ حوالي أربعة أسابيع، تركنا المنطقة بعد أن احتلَّ الجيشُ الطريق العام بين (كركوك) و(السليمانيَّة)، فكان مقرُّنا التالي ناحية (آغجلر)، ثُمَّ توجّهْنا إلى منطقةِ (سركاو)، وبعد أن مكثنا في المنطقةِ عِدّة أسابيع تركناها، وكان مقرُّنا التالي هو مدينة (قلعة دزه)، وكنتُ آنذاك مديراً لـ(تربية كركوك)، التي أسّستها الأمانةُ العامّةُ للتربيةِ والتعليم، كما كنتُ مسؤولاً لنقابةِ معلمي كوردستان – فرع كركوك. وإن أنسى كُلَّ شيء، لا أنسى سفرةً قمتُ بها إلى (حاجي عمران) عن طريق رانية – دولي بلنكان، لقد خرجتُ بسيارة جيب من (رانية)، وبعد أن سارتْ بنا السيارةُ

حوالي ساعة واحدة، وصلنا إلى منطقةٍ كان يصعبُ التحرُّك بالسيارة، فنزلنا مِنَ السيارةِ، وبدأنا نسيرُ مشياً على الأقدام، فقد كان الطريقُ وعِراً للغاية، ومزعجاً جدًاً، وكان أتعبُ ما في هذا الطريق هو النزول من المنحدرات الجبليَّة، وعند منتصف الليل وصلنا إلى إحدى المقاهي الشعبيَّة البسيطة، التي كانت منتشرة على الطريقِ آنذاك، وقد أخذ التعبُ والجوعُ منَّا كُلَّ مأخذ، فطلبْنا من صاحبِ المقهى أن يحضّر لنا الشأي فرفضَ، لأنه لم يَكُنْ يريدُ أن يضحِّي بنومهِ وراحته في هذا الوقتِ المتأخِّر، ولم يَكُنْ أمامي إلاّ الصعود على الكوخ، فاستسلمتُ لنومٍ عميق لم استيقظ إلاّ قبل شروق الشمسِ بقليل، والنومُ نعمةٌ مِنْ نعمِ الله على الإنسان، فهو يمتصُّ تعبه وإرهاقه، وبه يستعيدُ نشاطه، ويصفي ذهنه، ولكن ما أن استيقظتُ حتّى بدأتِ الشمسُ ترسِلُ أشعتها بإذنِ ربّها، فوجدتُ نفسي في جنَّةٍ مِنْ جنَّاتِ الله في أرضه، فقد كانت أشجار التوت تلفّني من كُلِّ جانب، وعلى امتدادِ نظري، كما كانتِ الطيور تطلقُ زقزقتها، لا بَلْ تسبِّحُ بحمدِ ربِّها، بلغتها التي لا يفهمُها مِنَ البشر إلاّ أهل النظر وأصحاب القلوب، فأخذتُ أسترسِلُ في التأمُّلِ في بديعِ خلقِ الله سبحانه وتعالى، ولكن في تلك اللحظات أغارت طائرات البعث، فقطعتْ عليّ تأملاتي، وأتتْ حتَّى على تسبيحِ الطيور.

لقد فتحتْ (إيران) حدودهَا للنازحين الكورد، بأمرِ مِنَ (الولاياتِ المتحدة الأمريكيَّة)، ولكنّ لم يَكُنْ أحدٌ مِنْ عقلاءِ الكورد يطمئنُ للخدماتِ التي كان يقدِّمها شاه إيران للنازحينَ الكورد، الذين كانوا موزّعينَ على (٢٤) مخيّماً، على طولِ الشريطِ الحدوديّ بين (العراق) و(إيران)، وبالتأكيد لم يَكُنْ شاهُ إيران كذلك مطمئناً على نمطِ علاقتهِ مع الحركةِ الكورديَّة، ففي مدينة (مهاباد)، التي كانت عاصمة لـ(جمهوريّة مهاباد)، وبالقرب من ساحةِ (جوار جرا)، التي أعدم فيها (قاضي محمّد)، كانت هناك مدرسةٌ ثانوية لطلبةِ الكورد العراقيين، وكان الطلبةُ قبلَ دخُولهم الصف، يصطفون كُلّ يوم صباحاً، وينشدون النشيد القومي (ئه ى رقيب)، والكورد الإيرانيون يطلّون من على حائِط المدرسة، فيستمعون إلى هذا النشيد، أو هذهِ الصرخة، لذلك كنتُ أسألُ نفسي: هل مِنَ المعقُول، أو هل مِنَ المنطقيّ، أن ينالَ الكورد في العراق حقوقهم بمساعدةِ مِنَ الشاه؟ بينما يكون دور الكورد في (إيران) التفرّج فقط؟!

المشهد الربيعي الرابع

خلال عمري الطويل مرّتْ بي مواسِم ربيعيَّة كثيرة، فتمتّعْتُ بأيّامِها الجميلة،

وذكرياتها الحلوة، كما قاسيتُ وعانيتُ من بعضها مُرّ الأيام، وسوء الحال، هكذا الحياة فهي لا تسيرُ على وتيرةٍ واحِدة، فعلى طريقها يلقى الإنسانُ صحاريَ جرداء، كما يُصادِف على هذا الطريق واحاتٍ خضراء.

ولكنّي لم أجِدْ خلال عمري الطويل هذا، ربيعاً قاسياً على الشعبِ الكورديّ كربيعِ عام ١٩٧٥م، فالمعروف والمتوقّع مِنَ الربيع أن يأتيَ بموجاتٍ مِنَ الفرحِ والسرور يوزّعها على النّاسِ جميعاً، ولكن ربيعنا هذا قدِ اغتالَ حلم شباب الكورد، وسرق البسمةَ مِنْ أفواهِ أطفال قومِ (صلاح الدين)، وسلب العقيلَ والرشد حتى مِنْ شيوخِ الكورد.

ففي ٦ آذار من عام ١٩٧٥م، عُقِدَ مؤتمر نفطيّ في (الجزائر)- العاصِمة، واجتمعَ (شاهُ إيران) على هامشِ المؤتمر مع نائبِ الرئيس العراقيّ (صدّام حسين)، بوساطةٍ مِنَ الرئيسِ الجزائريّ (هواري بومدين)، واتفقا في هذا الاجتماع - بإيعازٍ مِنْ أمريكا - على إنهاءِ الحركةِ المسلّحة في (كوردستان)، وإقصاءِ الكوردِ مِنَ اللعبة.

لم تَكُنِ المأساةُ في هذهِ الاتفاقية - التي سُمِّيَت (اتفاقية الجزائر) - في إنهاءِ الحركةِ المسلّحة، وإنما كانتِ المأساةُ في إفرازاتِ هذهِ الاتفاقية، إذ أصبحَ النازِحُون الكورد حيارى تائهين، فلم يَكُنْ أمامَهم إلاّ أحد الخيارين: إمّا البقاءُ خارجِ العراق، في معسكراتٍ، يتضوّرُون جوعاً، فيتسكّعُون في الشوارعِ بحثاً عن عمل، أو العودة إلى العراق، وتحمّل الذلّ والهوان، والترحيل والتهجير.

في الحقيقةِ، كان الرّابحُ الوحيدُ في هذهِ الاتفاقية، هو (شاهُ إيران)، فقد حصلَ على نصفِ شطّ العرب، فلم يعد في ضوءِ هذهِ الاتفاقية (شطّاً للعرب)، كما حصلَ على أراضٍ واسعة، على طُولِ الشريطِ الحدوديّ بين إيران والعِراق، فظلّ العراقُ يئنُّ من هذا التنازُل، ولا يزالُ، وكان من إفرازاتِ هذهِ الاتفاقية أيضاً، نقلُ آلافِ المواطنين الكورد إلى الجنوب، وترحيل وتهجيرِ الآلافِ مِنَ العوائِل إلى مناطِقِ خارجِ سُكناهم، وتدمير أكثر من أربعةِ آلاف قرية كورديّة، ودفن الآلاف مِنَ الأبرياءِ في رِمالِ الصحراء، في حملاتٍ سُمِّيَتْ ظُلماً وعدواناً بـ(الأنفال).

حَقّاً كان ربيعُ عام ١٩٧٥م قاسياً ومأساوياً.

المشهد الربيعي الخامس

كان الرئيس العراقي (صدام حسين) على جانب كبير من الذكاء، ولكنه كان يفتقر إلى العقل الذي يستغل به هذا الذكاء، كما كان جريئاً إلى أبعد الحدود، ولكنه كان مغروراً. وقد دفعه غروره إلى أن يخرج عن طوره عند تعامله





مع كثير من القضايا، ومنها قضية الشعب الكوردي، ولو تعامل مع هذه القضية بعقلية رئيس دولة، بعيداً عن الغرور والتعالي، حتى بعد اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م، لما وصل الأمر إلى ما وصل إليه، كما أنه لم يستمع إلى آراء العقلاء، فقد قرأت في مجلة عراقية في نيسان عام ١٩٧٦م مقابلة أجراها صحفي في المجلة مع مؤسس حزب البعث (ميشيل عفلق)، فكان ضمن الأسئلة التي طرحها الصحفي سؤال فحواه (ما رأيك بالقضية الكوردية؟)، فكان جوابه (إن لم تعالج القضية الكوردية بعقلية الخلفاء الراشدين، فإنها تعود بقوة أكبر من ذي قبل)، ولكن النتيجة بدلاً من أن يأخذ (صدام) بنصيحة مؤسس حزبه، جمع أزلامه المجلة من المكتبات وأحرقوها، كما أخذ جنوده يحرقون القرى الكوردية، وحتى المصاحف الشريفة لم تسلم من الحرق.

في الفترة (١٩٧٥-١٩٩١) كان الربيع يستحي أن يأتي إلى ديار الكورد، فإن أخطأ مرة في المجيء، فإنه سرعان ما يترك الديار، لأنه لا يريد أن يفقد ماء عينيه على الأطلال والأطفال والأنفال والقرى المهدمة.

لم تستطع معاناة الشعب الكوردي ومأساته أن تشبع غرور صدام حسين وكبريائه، فكان يريد دائماً المزيد، ولذلك كان يفتش عن مصادر أخرى لتحقيق هذا الغرور ولترتوي منها نفسه المتعطشة للدماء والدمار، فوجد ضالته المنشودة في احتلال (الكويت) في الثاني من آب ١٩٩٠، فأغرق شعب الكويت تدميراً وتخريباً، حتى أن (هولاكو) يتوارى خجلاً أمام ما صنعه صدام حسين بهذا الشعب.

كان (صدام حسين) يتخيل أن



احتلال (الكويت) هو نزهة له ولجيشه، وأن أمريكا تبارك خطوته الجنونية هذه، وأنه عما قريب سيصبح إمبراطوراً للعرب، ولكنه وجد أن عمله - بعد فوات الأوان - كان مخططاً للقضاء عليه وعلى جيشه وعلى اقتصاده... لقد وجد جيشه قد غاص في رمال الصحراء.

ومنذ احتلال (الكويت) عام ١٩٧٠ فقد صدام هيبته وهيمنته، فتحول من موقف الهجوم إلى موقف الذليل الخانع، وتعالت الأصوات هنا وهناك تريد الخلاص منه، لا بل كثرت السكاكين استعداداً لذبحه.

وفي الأسبوع الأول من آذار عام ١٩٩١ هب الشعب الكوردي رجالاً ونساءً وأطفالاً، وانتفضت كوردستان شجراً وحجراً بوجه البعث المجرم، فكانت النتيجة استسلام حوالي خمسين ألف من ضباطه وجنوده مع آلياتهم وأسلحتهم إلى البيشمركة. كان بحق منظراً غريباً أن يستقبل الشعب الكوردي هذا العدد الضخم من الضباط والجنود بإنسانيتهم المعهودة، فلم يمد يد الأذى لأحد منهم، بالعكس كانوا يمدون يد العون والمساعدة لهم.

حقاً كان ربيع عام ١٩٩١ هو عودة الود والوئام بينه وبين الشعب الكوردي، فلأول مرة أخذ الشعب الكوردي يستعيد ابتسامته وحبه للحياة.

ولكن مصالح (أمريكا) قضت أن تحول من جديد بين (صدام حسين) والسقوط، فكانت النتيجة أن عاد (صدام) إلى المدن الكوردية، بفلول جيشه الذي كان يكفي لإلقاء الهلع والروع في قلوب الناس، فكان سبباً في الهجرة الجماعية إلى إيران.

بالرغم من أن هذه الهجرة الجماعية كانت محرقة، خسرت كثير من العوائل في أتونها أنفسها وأموالها وراحتها، ولكنها مع كل ذلك كانت عنواناً جديداً لحق الشعب الكوردي في الحياة وتقرير المصير□

بين السويد وأمريكا والكويت:

خواطر كوردستانية لا تنسى



محسن جوامير/ كاتب كوردستاني . السويد

يبدو أن العلاقة بين الكويت وكوردستان قديمة، حيث هاجرت إليها عوائل كوردية منذ الستينات، وسكنت هناك، واستقرت، وعايشت أهل الكويت على الحب والمودة، ولكن الأكثرية كانت تزور أهلها بين الفينة والفينة، وعدد منها كان يشتغل في التجارة في كلا الجانبين. كان عندنا في (هه ولير / أربيل) عاصمة كوردستان رجل اسمه (حجي علي الكويتي)، كان صاحب معمل في الكويت، وفي الصيف كان يعود إلى (هه ولير) ليشرف على أعماله في المكوى البخاري.. والكويتيون كانوا يسمونه عندهم بـ(حجي علي الكوردي).. وبعد غزو الكويت التقينا بعدد كبير من الكوردستانيين الكويتيين في البلدان الاسكندنافية، حيث حصلوا على اللجوء، وكانوا مازالوا محتفظين باللغة الكوردية.

قبل أن أدخل باحة القصد من العنوان أعلاه، لا بد من المرور بمحطة سابقة، وهي أنه في ديسمبر من عام ١٩٨٨، وبعد قصف مدينة (حلبجة) الكوردية بالأسلحة الكيمياوية المحرمة، واقتراف جريمة الأنفالات والإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الكورد الفيليين، والآخرين، وتدمير القرى، وطرد الكورد من (كركوك)، وأخواتها، دعتني (رابطة الشباب العربي المسلم) في (أمريكا)، وعن طريق (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في (واشنطن)، وشخص الدكتور (جمال البرزنجي)، مسؤول المعهد

آنذاك، والذي زارني في (السويد) بعدة أسابيع قبيل انعقاده، لإلقاء محاضرة عن القضية الكوردية في مؤتمرها في مدينة (أوكلاهوما) الأمريكية.. هذا وقد حضر المؤتمر كورد آخرون أيضا، منهم الدكتور (صلاح). وقد أعجبني هناك دور المحاضر الجزائري الأستاذ الراحل (محفوظ النحناح)، رئيس (حزب مجتمع السلم) لاحقا، والذي صعدت إلى شفته آلام مهجته، وفي يده صور ضحايا (حلبجة)، التي كانت تفتت أكباد الحاضرين، وكان يصيح بملء فمه على رؤوس الملأ : يا ناس ! ماذا فعل هؤلاء من جريمة حتى يفعل بهم النظام العراقي هذه الجريمة الحمقاء ؟!.. وكان رئيس العراق آنذاك في أوج عظمته وشعبيته، وقد تحول تماما إلى صنم كاد يَسجد له من في أرض العرب، إلى أن (يقول الإنسان يومَئذٍ أين المفر)!

وبعد انتهاء المؤتمر عدت إلى (واشنطن)، ضيفا على (المعهد العالمي للفكر الاسلامي)، وقد كُلِفت من بعض مسؤولي مسجد (جامعة جورج واشنطن) بإلقاء خطبة الجمعة.. تناولت فيها مظالم صدام، وما اقترفه في كوردستان من جرائم. وبعد انتهاء الصلاة تجمع حولي مجموعة من الطلبة الخليجيين الجامعيين، وعاتبوني بتجاوز الحد، والمبالغة في الهجوم على النظام العراقي، لكونه المدافع عن شرق الأمة العربية من تجاوزات ومخاطر الفرس المجوس!

ودارت الأيام، وغرّت الطاغية الأماني، ولا بدّ مما ليس منه بدُّ، واحتل جيش أصحاب الفيل (الكويت)، وتفرق الشعب الكويتي شذر مذر، بين عشية وضحاها، على يد من استبد وتجبّر وتكبّر.. وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٩٠ دعاني الاتحادان الوطنيان الكويتي والأماراتي، وعن طريق الدكتور (أحمد التوتونجي) الهوليري، عضو (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في (واشنطن)، لتقديم محاضرة عن المجازر التي حصلت للكورد على يد النظام العراقي، وكان الدكتور (مظفر برتوما)، من شرق كوردستان مدعوا أيضا. وفي الحقيقة صارت القضيتان الكويتية والكوردستانية توأمين هناك في (الشارقة).. الكثير من الكتاب والمحاضرين، سواء من الكويتيين أو غيرهم، أشاروا إلى قضية شعب كوردستان، وعلى الخصوص الشيخ (حامد الباكستاني)، والأستاذ الكاتب (مصطفى الطحان) ــ أمدّ الله في عمره ــ الذي طالما عاش مع محنة الكورد، وشجع شباب كوردستان، في الخارج، من أجل الدفاع عن قضيتهم، لا بل كان يعاتبهم ويتهمهم بالقعود.

هذا وقد خرج المؤتمر ببيان ساند فيه

الكـــورد، وتعـــاطف مـــع محنـــة شـــعب كوردســـتان أيضـــا. ويمكـــن القـــول بـــأن الشـــعبين الكوردســـتاني والكـــويتي أصـــبحا يتعانقـــان هنـــاك.. ومـــن المفارقـــات، الـــتي صارت طريفـة بعدئـذ، أنـه وخـلال المـؤتمر، جاءني أحـد الشـباب الكـويتيين، وقـال لـي بـالحرف الواحـد : هـل تـذكرني يـا أخـي حينمـا عاتبتـك بعـد خطبـة الجمعـة في واشـنطن عـام ١٩٨٨، لأنـك هاجمـت النظـام العراقـي، والآن حصـل لنـا مـا حصل لكم ؟!.. وقـد علمـت مـن بعـد بـأن ذلـك الأخ تسـنم وكالـة إحـدى الـوزارات بعد التحرير، وفرحت.

هـذا، وقـد تخلـل المـؤتمر تقـديم قصـائد وخـواطر جياشـة وجميلـة.. منهـا قصـيدة قـدمت مـن بنـت صـغيرة، واسمهـا (نجـلاء)، لم يتجـاوز عمرهـا آنئـذ عشـر سـنوات، وكانـت رقيقـة وفياضـة أبكـت الكـثير، وزلزلت العديـد، وكنـت أنـا واحـدا منـهم. وأثنـاء القائهـا أصـبحت المشـاعر عنـدي واحـــدة: كويتيـــة كوردســـتانية، أو كوردســـتانية كويتيـــة، فتمخضـــت عنهـــا هـذه الأحاسـيس السـريعة الـتي كتبتهـا، ووزعتهـا في الحـال، وتلقفتهـا الأيـدي والقلـوب والأبصـار، وطلـب مـني التوقيـع عليهـا، للـذكرى الـتي تنفـع المـؤمنين، وكانت:

يـا ابْـنَتي يـا نجـلاء ! لا تبكـي ولا تحزنـي، ما أنـتِ ضـيعتِ الكويـت، ولا أنـا ضـيعتُ وطني

دعـي الطواغيـتَ يفعلـوا مـا يشـاؤونَ، فنحن أبناءُ محمدٍ، وهم أبناءُ الوثنِ

سـتعود حلبجـةُ زاهـرة، وتعـود الكويـتُ أقـوى مـن المِحَـنِ، وسـتزورينَ عمّـكِ في كوردستان، وتغنين مع ابنتي أحلى اللَّحَنِ

أجل.. تلكـم الخـواطر كانـت غيضـا مـن فـيض، المحطـات الـتي توقفنـا خلالهـا نحـن الكوردسـتانيين والكـويتيين معـا، في أيـام المحنة والآهـات، وبتنـا سـوية نـدعو جهـارا: لا إلـه سـوى الـذي صـنع الوجـود و قـدر الأقـدارَا، للخـروج مـن ذلـك الجحـيم الـذي أوقعَنـا فيـه ذلـك الـرئيس المغـرور.! وقـد تحـرر شـعب الكويـت في نهايـة تلـك المحطـات، وأفـرغ الله صـبراً علـى الكـورد، وصـاروا – لأكثـر مـن عقـدين – بمنـأى عـن التعـرض لهـادم اللـذات، مـن الغـازات السـامات، ولازالـوا أقـرب إلى الاسـتقلال منه إلى الإلحاق.

فهـل تتحـرر كوردسـتان إلى الأبـد، كمـا تحررت الكويت، وتزورنـا بنتنـا (نجـلاء) ــــ لعلـها مـع زوجهـا، وقـد كـبرت ــــ لتنشـد مع ابـنتي ــــ الـتي كـبرت أيضـا، وتزوجـت ــــ النشـيدين الـوطنيين الـرائعين (الكـويتي والكوردســتاني)، في برلمــان كوردســتان، في هــه ولـير (أربيـل) العاصـمة، ويتحقـق بـذلك أيضـا أمـل الكـورد، شـقيق الشـعب الكويتي في تلك الأيام الحالكات ؟

عسى أن يكون ذلك اليوم قريبا! ☐

الانتفاضة والهجرة المليونية ..

ربيع سبق الربيع

سالم الحاج

لم تكن أحداث آذار عام ١٩٩١، في ما كان يعرف بـ(منطقة الحكم الذاتي)، والتي ابتدأت شرارتها من بلدة (رانية)، الصغيرة على الحدود العراقية- الإيرانية، (وهو الأمر الذي يحمل مدلولاته، وخاصة أن الدولتين كانتا قد خرجتا توا من حالة حرب دامية)(١)، وامتدت بعد ذلك لتشمل جميع المحافظات الكوردية الثلاثة (أربيل، دهوك، السليمانية)، لم تكن تلك الأحداث والتطورات الخطيرة، التي أسست لما بعدها، وليدة لحظتها، ولم تكن بمعزل عما جرى وما كان يجري في المنطقة..

لقد كانت أجواء الحدثين الأفغاني والإيراني يخيمان على المنطقة العربية والإسلامية بأسرها، وكان عام ١٩٧٩م قد شهد اندلاع الثورة الإيرنية، التي أطاحت بعرش واحد من أقوى الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة، وهو العام ذاته التي انطلقت فيه الثورة الأفغانية، ضد الاحتلال والتدخل الروسي في (أفغانستان).. وكان هذان الحدثان الفارقان والعظيمان، أولهما بالانتفاضة والمقاومة الشعبية المذهلة، التي أبداها الشعب الإيراني في مواجهة قمع النظام البهلوي، وقدرة القوى الشعبية الإيرانية، وقياداتها العلمائية والميدانية، من إسقاط النظام العسكري الدكتاتوري، عن طريق القبضة المجردة والهتافات والتظاهرات الشعبية الحاشدة.. وثانيهما، بانتهاج سبيل المقاومة المسلحة، وإعلان (الجهاد) من قبل أبناء وقيادات الشعب الأفغاني، ضد تدخل القطب الأعظم الثاني آنذاك في العالم، في بلادهم.. كان هذان الحدثان بما يحملان من دلالات مهمة، وإيحاءات قوية، يخيمان في تأثيرهما على الأجواء السياسية والاجتماعية والثقافية، في طول العالم الإسلامي والعربي وعرضه، وكانت منطقة إقليم كوردستان غير بعيدة عن ذلك كله..

وعلى الصعيد الداخلي العراقي، كان

النظام البعثي قد صادر حريات الشعوب العراقية، وفرض عليها أشكالا من القيود والظلم والتنكيل والقمع، وكانت الذاكرة الكوردية بالذات تختزن تاريخا مؤلما من الكفاح ضد هذا النظام، والأنظمة العراقية السابقة له، وكانت ذكرى الأحداث المأساوية لقصف مدينة (حلبجة) بالأسلحة الكيمياوية عام ١٩٨٨م، وعمليات (الأنفال)، التي سبقت ذلك التاريخ، وتلته، لا تزال حية في وجدان الشعب الكوردي.. وكان العراق قد خرج لتوه من حرب ضروس مع جارته (إيران)، حرب أنهكت الدولة، وأضرت بالمجتمع، وكبدته خسائر فادحة في الأرواح والأموال.. ولم يكد الشعب العراقي يتنفس الصعداء لانتهاء الحرب، حتى بدأ بالنظام بمغامرة جديدة، وهي المغامرة التي قصمت ظهره، ولم تقم له بعدها قائمة، مغامرة احتلال (الكويت)، وضمها إلى (العراق)، عام ١٩٩٠م، وما تبع ذلك من نشوب ما عرف باسم (حرب الخليج الثانية)، التي انتهت بهزيمة الجيش العراقي، وتفتت قواته، وفرض شروط المنتصر عليه في (معاهدة صفوان).. وكان ذلك، فضلا عن الوضع المأساوي الذي أعقب تلك الحرب، والعبء الثقيل الذي كان يفرضه النظام على أبناء الشعب، والقهر وقمع الحريات، هو الذي جعل شرائح المجتمع العراقي، ابتداءا من (الجنوب)، ذي الكثافة الشيعية، تتحرك للانتقام لنفسها، ولاستخلاص حريتها، وكانت الانتفاضة المعروفة في الأدبيات الشيعية باسم (الانتفاضة الشعبانية).. كانت هذا الانتفاضة خلال شهر شباط من عام ١٩٩١م، أي بحوالي أقل من شهر، من موعد انفجار انتفاضة الكورد في الشمال، في بلدة (رانية) التي أشرنا إليها، والتي ابتدأت في الخامس من شهر آذار مارس من العام نفسه..

هذه هي الأجواء التي ولدت فيها الانتفاضة الكوردية، أو (الربيع الكوردي): أصداء ثورات شعبية، غيرت من نظرة الشعوب إلى نفسها، وقدراتها، من جانب، وقمع للحريات وظلم للفرد والمجتمع، كان يمارسه النظام السابق، بحق الكورد وغيرهم، من جانب آخر.. ومن ثم سنوح الفرصة، بعد تراخي قبضة النظام الأمنية والعسكرية، بعد أحداث الكويت، مما ألهب حماس الناس، ودفعهم عفويا إلى اللجوء إلى حل إشكالاتهم مع النظام الحاكم بأنفسهم، وعلى طريقتهم الخاصة..

لا ننسى بالطبع الإشارة هنا، إلى أن الامتداد الشيعي بين الجنوب العراقي والعمق الإيراني، كان من العوامل المحفزة والمشجعة للشيعة في الجنوب، على البدء في الانتفاضة، واستغلال الفرصة السانحة، التي حانت بعد هزيمة النظام البعثي في الكويت.. كما أن الثورة المسلحة الكوردية، التي كانت مشتعلة منذ عقود، والتي كانت آنذاك ليست في أفضل حالاتها، كانت هي الأخرى الدافع

والمحفز والمشجع لأبناء شعبنا الكوردي، على القيام بانتفاضتهم، وطرد أزلام النظام ورجالاته وعساكره من مناطقهم(٢)..

لقد كانت الانتفاضة الكوردية في العراق (والشيعية كذلك في الجنوب)، مؤشرا على حالة فقدان الثقة التامة بالنظام، وعلى أن الشعوب قد تصبر على الضيم والقهر، ولكنها ستستغل أول فرصة سانحة لها لكي ترد الصاع صاعين، وتنتقم لنفسها وكرامتها.. ولكن الأنظمة الدكتاتورية لا تفقه دروس الحرية والكرامة، ولذلك سرعان ما عاد النظام – بعد إعادة تأهيله من قبل القوى الكبرى، التي رأت في بقائه آنذاك مصلحة لها– إلى استعمال أساليبه القديمة في التعامل مع الشعب، وشرع في قمع الانتفاضة بكل الوسائل والأساليب، وهو ما أدى إلى ذلك الحدث الفريد الذي هز ضمير العالم، حيث فرغت المدن والقرى الكوردية عن بكرة أبيها، وخرج ساكنوها جميعا – تقريبا – هربا من قمع النظام، يطلبون النجاة بأرواحهم، قاصدين الحدود الإيرانية والتركية، في ظاهرة غير مسبوقة في التاريخ الحديث بهذا الشكل، ونقلت كاميرات التلفزيون العالمية هذه المناظر غير الطبيعية، وكان ذلك مدعاة للتدخل الدولي، الذي أنهى هذه التراجيديا المرعبة، وأوقف قمع النظام الدكتاتوري ضد شعبه.. لقد كان ذلك الهروب الجماعي لشعب بأكمله، خوفا من بطش الحاكم، حدثا فريدا في التاريخ البشري، لا أعرف مثيلا له، وكان ذلك مؤشرا على مدى الهوة الواسعة بين الشعب الكوردي والنظام الحاكم، ومدى الوحشية التي اشتهر بها هذا النظام، الذي لم يكن يرعوي عن استعمال أية وسيلة في سبيل تحقيق مآربه، وهو النظام الذي خبره الكورد من قبل في عمليات (الأنفال) الظالمة، وفي جريمة (حلبجة) المشهودة..

لقد كانت الانتفاضة قصيرة في مداها الزمني، وسرعان ما قمعها النظام الدكتاتوري، ولولا الهجرة المليونية للشعب الكوردي، وما تبعها من التدخل الدولي، لأصبحت تلك الانتفاضة من ذكريات الماضي، ولكان النظام القمعي قد أخمدها وأجهز عليها.. ولكن الوضع المأساوي الذي أخذت الأوضاع في كوردستان العراق تسير إليه، دفع المجتمع الدولي إلى التحرك بحثا عن حل.. وكان أن فرضت ما عرف بـ (المنطقة الآمنة)، وهي المنطقة التي تشمل أغلب إقليم كوردستان العراق اليوم.. وهكذا كان، وعاد الكورد إلى مواطنهم، بعد أن أجبر النظام البعثي على سحب قواته من المنطقة الكوردية.. ثم ما لبث النظام الحاكم أن سحب كافة الإدارات والأجهزة الحكومية من المنطقة أيضا، ظنا منه أن ذلك سيدفع الأوضاع إلى التدهور والاضطراب والفوضى.. ولكن الأحزاب الكوردية، التي كانت – بحكم خبرتها، وتنظيمها، وقواها المسلحة –، قد استلمت زمام المبادرة،

وتصدرت واجهة الأحداث، بادرت إلى الإمساك بزمام الأمور، ومنع حدوث الفوضى والارتباك، وشرعت في توليد البدائل المناسبة.. ثم ذهبت في خطوة تاريخية شجاعة إلى تنظيم أول انتخابات شعبية كوردية حرة، لانتخاب أول برلمان كوردي مستقل، ومن ثم تشكيل أول حكومة كوردية مستقلة، في هذا الجزء من كوردستان.. وهكذا بدأت ملامح الحدث الكوردي، والمستقبل الكوردي، في التشكل والتبلور..

لقد كان الربيع الكوردي عفويا، وغير مخطط له، ومفاجئ، جاء بغتة من غير انتظار ولا توقع، ولكنه كان حدثا له دوافعه، وأسبابه، وخلفياته، وكوامنه، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك فيما سبق.. وعندما حل الربيع الكوردي، وهز الإنسان الكوردي، والمنطقة، ظل ولم يرحل، وترك آثاره، وجنى الكورد ثماره.. صحيح أن الكثيرين اليوم – من أبناء الشعب الكوردي – يرون أن تضحياتهم لم تحقق لهم ما كانوا يصبون إليه، وأن النظام الكوردي الذي صنعوه بأيديهم، لم يرق إلى مستوى طموحاتهم وتوقعاتهم، بل إن فيهم من يذهب إلى القول بأن الربيع الكوردي لم يحن بعد، ولا بد من ربيع كوردي يعيد الأمور إلى نصابها.. ولكن النظرة الواقعية والموضوعية تقول بأن الانتفاضة الكوردية والهجرة المليونية كانتا ربيعا كورديا، حقق ثماره في صنع البرلمان والحكومة الكوردية، وجعل منطقة الحكم الذاتي – كما كانت تدعى – إقليما فدراليا، أخذ يفرض حضوره الدولي والإقليمي يوما بعد يوم، وخاصة بعد سقوط النظام البعثي، عام ٢٠٠٣م□

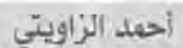
الهوامش:

١) من يتابع تطورات الأحداث آنذاك، سيلاحظ بسهولة أن شرارتها انطلقت من مدينة (رانية) الحدودية البعيدة، في ١٩٩١/٣/٥، ثم تبعتها بلدات أخرى – بعيدة أيضا عن سلطة وقوى النظام، نوعا ما – ، وتأخرت مراكز المدن الكبيرة في الدخول في هذا الحدث الثوري كثيرا، فنجد أن أهالي مدينة (أربيل) لم ينتفضوا إلا في ١٩٩١/٣/١١، في حين تأخرت مدينة (السليمانية) إلى ٣/١٣/، بينما كانت مدينة (دهوك) آخر المناطق التي شملتها الانتفاضة (١٩٩١/٣/١٩).. وهذا يدل على مدى الحذر والخوف الذي كان يلف الأهالي والقائمين على شؤون الانتفاضة، من سطوة النظام وبطشه، وهو الذي عرف بالوحشية والقسوة في التنكيل والبطش بكل من يقف في وجهه.. وهكذا، ابتدأت في منطقة نائية، على الحدود العراقية–الإيرانية، ثم انتقلت إلى الأطراف والنواحي البعيدة عن مراكز المدن، ثم شملت المدن الرئيسية الكبيرة أخيرا !!

٢) من المفيد والضروري كذلك، الإشارة إلى ظاهرة إنسانية ملفتة للنظر صاحبت تلك الأحداث والعمليات، فرغم أن الانتفاضة، وخاصة في بداياتها، كانت عفوية ومن غير تخطيط مسبق إلى حد كبير، ولكننا وجدنا أن التخريب والتدمير لم يطل إلا أجهزة الاستخبارات والأمن التي كانت تذيق الناس العذاب والويل، كما أن القتل والتنكيل لم يشمل إلا هؤلاء أيضا، فقد كان الجنود وأفراد الجيش العراقي يلاقون المعاملة الحسنة من الأهالي والمسلحين، ويسرحون بعد ذلك إلى أهاليهم ومناطقهم.. وهي ظاهرة إنسانية، تشير إلى أن الشعب الكوردي كان يعرف أعداءه جيدا، وكان يدرك أن أفراد الجيش، رغم أنهم كانوا يقاتلونهم، لكنهم كانوا يفعلون ذلك مجبرين، أو من باب أداء الواجب المفروض عليهم، ولذلك عندما سنحت لهم الفرصة للانتقام منهم، لم يفعلوها، بل على العكس ساد موقف التسامح والعفو والتكريم..



كوردستان والعراق حتى متى؟!
المالكي لم يشذ عن القاعدة..



جرت العادة على أن من يحكم في (بغداد) من العراقيين، يتخذ موقف العداء من (كوردستان)، خاصة إذا كان هذا الذي يحكم في مراحل قوته، ربما نشهد بين الحين والحين مرونة مع الكورد ممن يحكم هناك في مراحله الأولية، ولم يكن قد اشتد عوده بعد، هذا منذ نشأة العراق بعد اتفاقية (سايكس- بيكو) بعد الحرب العالمية الأولى بداية القرن العشرين.

في العصر الملكي كانت مدينة (السليمانية)، ومنطقة (بارزان)، تقصف بالطائرات، والكورد كانوا يهجرون، كما هجرة (البارزانيين) إلى (مهاباد) في (إيران)، ثم بعد الانقلاب حاولت قيادة الانقلاب (عبدالكريم قاسم) استمالة الكورد نهاية الخمسينيات، ثم ما لبث أن بدأ حربه ضد الكورد بداية ستينيات القرن الماضي، فكانت تلك الحرب هي بداية ثورة أيلول عام ١٩٦٣، إلا أن رفيق دربه (عبدالسلام عارف)انقلب عليه،وهو الذي استعطف الكورد في البداية، ثم انقلب بدوره ليحاربهم، لكن قدر الله كان قد سبق، فاحترقت طائرته به، ليحل أخوه (عبدالرحمن عارف) محله،الذي زار(ملا مصطفى البارزاني) في (كوردستان) لاستمالة الموقف الكوردي لجانبه، إلا أن انقلاب حزب البعث العربي الإشتراكي عام ١٩٦٨ عليه، خلط عليه الأوراق.

جاء (حزب البعث) ليستعطف الكوردأيضا، فكان بيان الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٠، والإعلان عن منطقة الحكم الذاتي لكوردستان، لكنه ما لبث أن انقلب على ذلك، بعد أن شعر بقوته عام ١٩٧٤، ليستمر نظام الحكم في العراق بحربه ضد الكورد لما يقارب ٣٠ سنة، تخللتها (عمليات الأنفال)، وقصف (حلبجة)، ومناطق أخرى من كوردستان، بالأسلحة الكيمياوية، دمرت ١٤٠ ألف قرية، وقتل ١٨٢ ألف مواطن كوردي، بعضهم دفنوا أحياء، ولا تزال عمليات البحث عن مقابرهم مستمرة، إلى أن أسقط النظام بحرب أمريكية دولية عليه

عام ٢٠٠٣، ليبدأ نظام جديد في العراق، كان أقوى داعم له هم السياسيون الكورد، وكان الكورد جزءا رئيسيا من هذا النظام الجديد، بل رسموا خريطة هذا النظام، بصياغة دستورٍ ضمن له ما أراد من نظام فيدرالي في العراق، بأن تكون حقوقه فيها مضمونة.

ولكن، وكأن ناموس النظام في العراق هو نفسه، سواء حكم (بغداد) ملك، كـ(آل فيصل)، أو شيوعي كـ(عبدالكريم قاسم)، أو قومي كـ(عبدالسلام عارف)، وبعده بعثي كـ(صدام حسين)، وأخيرا مذهبي كـ(نوري المالكي).

نوري المالكي لم يشذ عن القاعدة

ظن الكورد بأنهم سيصنعون حليفا يحكم (بغداد)، بحيث يشذ عن قاعدة من سبقه، فكان (نوري المالكي)، الذي جاء (كوردستان) في سبعينيات القرن الماضي، هربا من (بغداد)، وكان محكوما بالإعدام من نظام (صدام حسين)، لانتمائه لـ(حزب الدعوة) الشيعي، فكانت كوردستان خير ملجأ له، ومن ثم أتاحت له (أربيل) الدراسة، فكان من خريجيي جامعتها، وعندما سقط نظام (صدام حسين)، بغزو أمريكي عام ٢٠٠٣، لم يكن (المالكي) يملك ما يذهب به إلى (بغداد)، فكان أن أهديت له سيارة من رئيس الإقليم (مسعود البارزاني)، وعندما احتاج ليكون بديلا لـ(إبراهيم الجعفري)، في رئاسة حكومة العراق، لم يجد غير الكورد سندا له، وهو الذي كاد أن يفشل لولاية ثانية لرئاسة وزراء العراق، فأنقذته مبادرة (البارزاني) ليكون رئيسا لولاية ثانية، وعندما كاد أن يسقط بمبادرة سحب الثقة، وقف إلى جانبه (جلال الطالباني)، رئيس جمهورية العراق، لينقذه من السقوط.

(نوري المالكي) مال للكورد أيضا، كسابقيه، حتى اشتد قوة، فانقلب ضدهم بتشكيل (غرفة عمليات دجلة)، ووقف عائقا أمام تنفيذ المادة ١٤٠ من الدستور العراقي، واستقطع من موازنة الإقليم، المخصصة له حسب الدستور العراقي، في كل سنة من حكمه، ما يقارب ٣٥٪ منها، حيث كان المخصص ١٧٪ من الموازنة، ولم تكن تصل غير ١١٪ من موازنة العراق، وكانت آخر خطواته العدائية ضد كوردستان، هو قطع رواتب موظفي كوردستان لشهري كانون الثاني وشباط من عامنا هذا ٢٠١٤، ومحاولة غلق الأجواء على كوردستان، لمنع وصول الطيران الدولي إلى الإقليم، وبالتالي محاولة خنقه جويا، وهو الذي لا يستبعد أن يستخدم طائراته وأسلحته، التي يجلبها لجيش العراق حاليا، لضرب تجربة إقليم كوردستان، متى تمكن من ذلك.

السؤال الذي يفرض نفسه، هو: حتى متى مع (بغداد)؟ ومتى سيعي الكورد الدرس؟!□

دراسات

- صحوة الوعي الكوردي (١-٢) سعد الزيباري

- في ذكرى استشهاد العلامة ناصر السبحاني (١-٢) عمر عبدالعزيز

- العلاقة بين الأستاذ والطالب في الحضارة الإسلامية (١-٢) الدكتور ناصر عبدالرزاق

- فقه هبة الأبناء عبدالباقي يوسف

- مدخل إلى قراءة في الإشكالية الحضارية (٢-٢) محمد رشدي عبيد

- الاستشراق الفرنسي ودوره في التأسيس للحملة الفرنسية (٢-٢) عمر جاسم محمد



صحوة الوعي الكوردي

في ذاكرة القرن العشرين

2 - 1

سعد الزيباري
Saadz76@yahoo.com

المقدمة

لقد عانى الشعبُ الكورديُّ منذ فجرِ تاريخِهِ ألواناً مِنَ القَمْعِ والقهرِ، وأشكالاً مِنَ العَنَتِ والعناء، لكنَّهُ بقي كالطَّوْدِ الأشم يُواجه أعاصيرَ الفناء، ويتواصلُ مع العالَم - ولا يزالُ - بلغتهِ التي تمثِّل العلامةَ الأكثرَ برُوزاً على هُويته القوميَّة، تلك الهُوية التي ما برحت تمنحُه نوعاً مِنَ التضامُن الاجتماعي والترابُط الإنساني، ويشهدُ التاريخ أنه على الرَّغم من كُلِّ صورِ الدَّمارِ والانكسار - التي تعرَّض لها في تاريخِهِ الطويلِ - كان يخرجُ من بين الأنقاض أصلبَ عُوداً وأقوى وجُوداً، كما تبقى لغتهُ هِيَ الأُخرى محتفظةً بنقائها، وماضية في نمائها، لاعتمادِها على أُصولها القويَّة، واستنادِها إلى جذورها الراسخة، في الوقتِ الذي نسيتْ فيهِ أكثرُ الأُمم القديمة لغاتِها الأصيلة، كما حافظ الكورد على فولكلورهم وتراثِهم - الحافِل بالأساطير والحكايات والأغاني الشعبيَّة - الذي ظلَّ هو الآخر مكتُوباً بهذهِ اللغة، فالفولكلور يمثِّلُ ميراثاً تاريخيًّا زاخراً يُلخِّص ثقافةِ الكورد وحضارتهم ونزعتهم الإنسانيَّة، وهو ما أشاد به الأديب الروسي مكسيم غوركي بقوله: "إن أساسَ الأدبِ يكمُن في الفولكلور، أي أدب الشعب. والفولكلور مادة خام كبيرة، وهو مصدرٌ ومَعين لجميعِ الشعراءِ والأُدباء، فإذا فَهِمْنا الماضيَ جيِّداً، كان نتاجُنا الحاليُّ رائعاً جِدًّا، وسنفهمُ آنذاك بدقَّة أهميَّةَ الفولكلور". ومن القصص التراثيَّة التي بقيتْ تحاكي سمفونيَّة الزمن قِصَّة (ممي آلان)، وهي أسطورةٌ شعبيَّة طافحة بالأحداثِ والبطولاتِ الجسام، ومفعمةٌ بالحروبِ إلى جانبِ الحُب، وهِيَ ترجعُ إلى ما يقربُ مِنَ ألفي سنة. ويعكِسُ الفولكلور الكورديّ ميلاً شديداً إلى الاتجاهِ القوميّ، والإشاراتِ المتكرِّرة إلى الكورد وإلى وطنهم الكبير كوردستان[1]. وهذا يدُلُّ على وعي الكورد قديماً بالمسألةِ القوميَّة، التي تغلغلتْ

قويّـاً في أعماقهم حتى تشرّبتها تراثهم وآدابهم. هذا "وأن الأدبَ الكورديَّ المكتوبَ باللغةِ الكورديَّة يعكسُ هو الآخر الآمال والأماني القوميَّة للكورد، بالإضافة إلى إنعاشِ ثقافة جيرانِهم، كما عَرفَ الكورد الملحمةَ، وألّف فيها الشاعِر أحمدي خاني (١٥٩١- ١٦٥٢م) وسمَّاها بـ(ممو زين) وهي ملحمةٍ قويّة وجميلة تشبهُ إلياذة هوميروس"[٢]، وهذه الملحمةُ تحملُ في تضاعيفها قصَّةً إنسانيَّةً مشحونةً بالعوطفِ الصادقة.

أصالة التراث الكورديّ وثقافته الإسلاميَّة

ويشهدُ التاريخُ أن عاداتِ الكورد وتقاليدَهُم وتراثهم التاريخيّ بقيت كما هِيَ على الرَّغم من كُلِّ مَوْجاتِ الاضطهادِ المنهج، وكُلِّ حملاتِ الإبادة والاستئصال التي كانت تمارسها الحكوماتُ المتعاقبةُ مِنْ أجلِ محو الكورد من على الخارطة السياسيَّة، وتمييع ثقافتهم واغتيال تراثهم ووأد حضارتهم، فضلاً عن تشويهِ تاريخهم وتزويره، والكورد كانوا ولا يزالُون إلى الآن مُتشبثين بتراثهم القوميِّ والوطني، مُتشرِّبين ثقافةً إسلاميَّةً أصيلة. وأن البُعْدَ الدينيَّ أو الانتماءَ الإسلاميَّ كان ولا يزالُ يمثِّلُ نقطةَ الارتكازِ في وعي الفردِ الكوردي. وقد أكّد الدكتور كمال مظهر أحمد قوَّة هذا النزوع الديني بقوله: "الدينُ عنصرٌ جوهريٌّ كامِنٌ، وله تأثير فاعِل في العقلِ الباطن، والإنسانُ يرضعُ الدينَ مع حليبِ أُمِّه. ولقد وَجدْتُ - أثناء دراستي في الاتحادِ السوفيتيّ عنصرَ الدينِ في جمهورياتِ القفقاس - بَلْ حتَّى بين الروس - قويّاً ومُؤثراً على الرَّغمِ من كُلِّ المحاولاتِ الراميةِ لتحجيمه من قِبلِ الدولة العَلمانية هُناك، وقد تلمّستُ مثلاً هذهِ الحالة بنفسي في (باكو)، إذ شاهدتُ هُناك أكثرَ من مرَّة - عند تشييعِ كبارِ المسؤولين - عالِم الدين يتقدَّم المشيِّعين ويقرأُ القرآن، ولم نكُنْ نتوقّعُ أن نرى مثلَ هذهِ الأُمور في الاتحادِ السوفيتي، فكيف إذن بالشعبِ الكورديِّ وغيرِهِ مِنَ الشعُوبِ الإسلاميَّة"[٣]، وهذا دليلٌ كافٍ لإثباتِ قيمةِ العُنصرِ الدينيّ ومدى حضُورِهِ في حياة النَّاس سواء كانت فرديَّة أم اجتماعيَّة.

وقد أشارَ الدكتور مظهر أيضاً إلى أن الكورد دخلُوا الإسلامَ مُخلصين لَهُ إلى أقصى درجاتِ الإخلاص، بعد أن كانوا يعيشُون في وضعٍ سيِّء للغاية في ظِلِّ الحكْمِ الساساني، وعندما جاء الإسلام لم يأخذ منهم شيئاً بَلْ أعطاهم أشياءَ كثيرة، فقدْ خلّصَهُم من هذا الحَكْمِ الجائِر، ولم يتدخّلْ في شؤونهم، لذا فقد أخلصُوا للدينِ الإسلاميِّ إلى درجةٍ جِد كبيرة، وأدّوا دوراً مُتميِّزاً في الحضارةِ الإسلاميّة، حتى إنهم قدَّموا للحضارةِ العربيَّة الإسلاميَّة العديد مِنْ أعلامهم البارزين في مُختلفِ جوانبِ الحياةِ الفكريَّة والعلميَّة والسياسيَّة[٤].

الإسلام في كوردستان في القرن السابع الميلادي

لقد دخل الإسلامَ كوردستان في النصفِ الأوّل من القرنِ السّابع الميلادي. وظلَّ الكورد مِنْ أكثرَ الجماعاتِ تمسُّكاً بالإسلام وتفقّهاً فيه، وأنهم قد أسهمُوا كثيراً في الدعوةِ الإسلاميَّةِ، وجاهدُوا في العصُور الوسطى، دِفاعاً عنِ الإسلام، وظهرَ مِنْ بينهم الفقهاء والمفسِّرُون، ورواة الحديث، فضلاً عن اللغويين والنحاة، وأصحاب الطرق الصوفيّة[٥].

وقَدْ لاحَظْنا - أكثر مِنْ ذلك - على مدار التاريخ قوَّة العقيدةَ الإسلاميَّةَ في تشكيلِ العقل المسلم، وكيفَ أنها استطاعتْ أن تصهرَ في بوتقتِها الروحَ القوميَّةَ والوطنيَّةَ إلى درجةٍ أنَّ الكورد حتَّى بعد إنشائهم دولةً فتيَّة لهم في عهدِ صلاح الدين الأيوبيّ، ظلّتْ عقيدتهم الإسلاميَّة مُحتوية للشعور القوميِّ والوطنيّ"[٦]، لأنهم عرفوا يقيناً أن العقيدةَ الإسلاميّةَ التي يُدينون بها هي الطريق الأمثل لتحقيقِ أمانيهم وآمالهم، وأن كلَّ الأيديولوجيات الأُخرى الوضعيَّة - التي تشبَّث بها الكورد عبرَ تاريخهم الطويل - قد أثبتَ الواقعُ فشلَها في تحقيقِ أهدافهم وترجمة أمانيهم بتأسيسِ كيانهم وتشكيلِ دولتهم، وإضافةً إلى العُنصرِ الديني - الذي تغلغلَ عميقاً في تلافيفِ الفردِ الكورديّ - فإنه ظلَّ مُتمسِّكاً بشرعيتهِ في أرضهِ ووطنه، توّاقاً نحو تحقيقِ حلُمهِ وحلُمِ آبائه وأجداده الذين ناضلُوا من أجلِ تقريرِ مصيرهم ببناءِ دولتهم على أرضِهم كوردستان.

وقد احتضنَ الكورد الأوائل قِمَمَ جبالِهم وسفُوحها التي ظلّت تتشرَّب وحتَّى الآن من الثلوجِ الراسية التي كانتْ تمدُّ الثورةَ الكورديَّةَ بإكسيرِ الحياة، وقد ظلَّ الكورد قابعين في أحضانِ تلكَ الجبالِ الباردة، واستمدُّوا منها - منذ فجرِ تاريخهم - روحَ القوَّةِ والعزيمةِ والبأسِ والمضاء، ومَظاهِرَ الشكيمةِ والتحدِّي والاعتزازِ بالنفس، تلك الجبالُ التي تمترسُوا بصخُورِها الجاسِئة، وتمسْرحُوا على أحجارِها الصمَّاء، وتنكّرُوا وراء ضبابها الكثيفِ الذي لا ينجابُ إلاّ بإشراقةِ الشّمسِ المتألّقة، لذا عُرفوا بأصدقاءِ الجبال بَلْ اشْتُهروا بفُرسانها، مِمَّن كانوا يقاتلون من أجلِ حياتهم المهدَّدة، بل وتحقيق السيادةِ الكاملة غير المنقوصة على أراضيهم المغتصَبة، وللدفاع عن لغتهم العريقة وتاريخهم العميق اللذين تمَّ تجريدهم منهما لمدياتٍ زمنيَّةٍ طويلة. ولاستعادةِ حريَّتهم بَلْ واستقلالِهم كمعظمِ دُوَلِ العالَم التي تعيشُ في هذا الفضاءِ المترامي الأطراف، وحتَّى لا يكونوا إلى الأبد بيادقَ الشطرنج يتلاعبُ بهم - يميناً أو شمالاً - أقطابُ السياسة الدوليَّة.

الحلم الكورديّ والحريَّة الضائعة

وليس سِرّاً إعلانه أن الدولَ العُظمى كانت ولا تزالُ تمنيهم بتحقيقِ حلُمهم القوميِّ، واستعادةِ حريَّتهم الضائعة، ولا تني في إغرائهم بالوعُودِ الكبيرة، ولكنهم كانوا

يعودون من مسيرتهم الحافلة بخفي حنين، ويَؤُوبون مِنْ رحلتهم الشاقّة بالبوارِ والخذلان. وذلك لأن الدول العُظمى كانتَ تعلمُ جيّداً قيمةَ هذه الأرض البِكر المعطاء التي تحتلُّ قلب آسيا بناءً على عُمقها التاريخي فضلاً عن موقعها الجغرافي الغنيّ بالموارد والمليء بالثروات. وقد ذهبَ الدكتور إسماعيل حصاف إلى القول: "إنَّ التاريخَ القوميَّ الكورديَّ قديمٌ جِدًّا يرجعُ إلى آلافِ السنين، ويحتلُّ كوردستان موقعاً جيو - سياسيًّا مهمًّا، وهو غنيٌّ بالثرواتِ النفطيّة، وبالمواردِ المعدنيَّة والمائيَّة، ولذلك قيلَ قديماً في الشرق: "مَنْ يضعُ يَدَهُ على كوردستان يضعُ يدَهُ على قلبِ آسيا"، ونتيجةً لذلِكَ وبسبب الحرُوبِ المستمرَّة مع الأجانِب، حرم الشعبُ الكورديُّ من إمكانيَّة كتابةِ تاريخه القوميِّ بشكلٍ مستقل، مثلما يجري ذلك في البلدان الأخرى. لقد تعرَّض التاريخُ الكورديُّ لوقتٍ طويل إلى التشويهِ المقصُود خدمةً لأيديولوجيا تقسيم كوردستان بين إيران وتركيا وسوريا والعراق"[٧]، على الرَّغم مِنْ أن عدد الكورد في العراق وتركيا وإيران، وسوريا والاتحاد السوفيتي - حسب توصيفِ د.مارغريت - يزيدُ عن سكّان الدنمارك، والنرويج، والسويد مُجتمعين. ومع ذلك لم يُحقق الكورد حلمهم في تقرير مصيرهم.

ونحن في مسعانا هذا لاستعادةِ أحداثِ التاريخ واستحضاره والتأمُّل فيه ومن ثمَّ انتقاده نتلمّسُ مدى الظلم والاستعباد الذي تعرّض لهما الكورد على مدارِ تاريخهم القديم والحديث، وأن الدراساتِ التاريخيَّةَ المنجزة لأغراضٍ مُسيَّسة من قبلِ غيره، تقومُ على أحكامٍ مُسبقة ونزعاتٍ مُتحاملة تثيرُ خُرافاتٍ تاريخيَّةً ملفّقة، وتُلقي رُكاماً مِنَ التزوير المغرض، وأنقاضاً مِنَ التشويهِ المتعمّد على تاريخ هذا الشعب العريق ذي الحضارة العميقة، لاستمرارِ الهيمنةِ على كوردستان، وتكريس تقسيمها إلى الأبد، وتحويلِ مفهُوم الدولة الكورديَّة إلى أسطورةٍ تاريخانيَّة لا يمكن أن تتحقّق على أرضِ الواقِع، ومن هنا يظهرُ لنا "عدم مصداقيَّة أغلب الكتابات عن الكورد وتاريخهم التي حاولتْ طَمْسَ الثوابت التاريخيَّةِ المتعلّقةِ بالمنطقة، وقلبَ الحقائِق وتزييفها بهدفِ تغييرِ التاريخ لصالِح شعوبها، والخروجُ بشيءٍ جديد يخدمُ مصالِحَهُم القوميَّة والاقتصاديَّة"[٨]. وربما هذهِ هي عِلّة وجود كُلِّ هذهِ الكتابات المؤدلجة عنِ الكورد، والتي حاولتْ قلبَ الحقائق التاريخيَّة وتدويلها وفق منظوراتِها المسبقة، بعيداً عن روحِ الإنصاف والمسؤوليَّة التاريخيَّة، وما يدلُّ على هذا الاضطراب الحاصِل هو اختلافُ "المؤرِّخين حتّى في تحديد أصلِ الكورد، وذلك منذ العصُور الوسطى، وربما كان هذا الاختلافُ ناتجاً عن شحّةِ الآثار الوثائقيَّة المدوَّنة لدى الكورد، وهو الأمرُ الذي جعلَ البحثَ عن تاريخِ الكوردِ وأصلهم - بشكلٍ مُحدَّد - أمراً بالِغ الصعُوبة"[٩].

تنامي الوعي الكوردي بقضيته العادلة

ونحنُ في هذهِ العجالة لا يمكننا أن نؤرِّخ لحضارة هذا الشعب وثقافته اللتين تعرَّضتا على الدوام إلى تجهيل مُستمر وتضليل مرير، وحسبُنا أن نومئ إليها بإشارات مُقتضبة تكفي للاستدلال على حجم المعاناة بل والمأساة التي تعرَّض لها الكورد قديماً وحديثاً، ولهذا كانتِ الدولة الكوردية هيَ الحلُم الذي ظلَّ يُداعِب أخيلةَ الكبار والصغار من أبناءِ الشعبِ الكورديّ وخصُوصاً بعد اليقظةِ الفكريَّة، وظهور بوادر النزعة القوميَّة بعيد الحرب العالميَّة الأولى، فظهرَ الكورد بقوَّة على المسرح السياسيّ، مثلهم في ذلك مثل الشعوب الأخرى التي كانت تعاني تحت نير الأنظمة الفرديَّة المتعاقبة. ونتيجة لتطوُّر الوعي الإنسانيّ في العالمِ أجمع وجدنا من لدن شعبنا الكوردي أيضاً نزوعاً واضحاً نحو الحريَّة الإنسانيَّة والاستقلال السياسيّ، وذلك بعيد تنامي الوعي القومي لديهم من جديد، وخاصة لدى النخب الفكريَّة والسياسيَّة، تلك النخب التي ظلّت تبحثُ كغيرها مِنَ الشعوبِ المقهورة بإلحاح عن هُويتها الضائعة تحت دولاب التحجيم والتهميش والتجهيل والإقصاء والمصادرة، وقد مثَّل هذا التنامي القوميّ نقطة تحوُّل فاصلة بَلْ لحظةٍ بارزة ومُتميِّزةً مِنَ التطوُّر الاجتماعيِّ والسياسيِّ للشعبِ الكوردي. وفي هذا السياق يرى الدكتور كمال مظهر أحمد: أنه نتيجة لإفرازاتِ الاندماج بالأسواقِ الرأسماليَّة العالميَّة – التي طالتِ الشعب الكورديّ أيضاً – تكوَّن لدى النخبة الكوردية المثقفة وعيٌ جديد، وارتأت أن تفكِّر بأسلوبٍ مُتحضِّر حول المشاعِر القومية التي انبثقتْ منذ القرن التاسع عشر أثناء انتفاضة البدرخانيين التي كان لها دورٌ بارزٌ في الحركة القومية الكوردية. فضلاً عمَّا قام به الشيخ عبيدالله النهري مرشد الطريقة النقشبنديَّة في عام ١٨٨٠م، بغيةِ تحقيقِ الاستقلال السياسي[١٠].

ولا ننسى أن نذكر في هذا السياق ثورة (الشيخ سعيد بيران) التي بدأتْ في جنوب شرق تركيا في ٢١ آذار سنة ١٩٢٥م، وانتشرتْ – في مُدَّة زمنيَّةٍ قصيرة – انتشاراً واسعاً، ولكنها أُخمِدت عندما أُلقي القبضُ على زعيمها، ومن ثم حُكِمَ عليه بالإعدام شنقاً في ٣٠ آيار ١٩٢٥م، وهناك صدع – قبيل تنفيذ الحُكم عليهِ – بمقولته الشهيرة: "إن الحياةَ الطبيعيَّةَ تقتربُ مِنْ نهايتها، ولا أندمُ أبداً لأنَّني أُقَدِّمُ نفسِي قُرْباناً لشعبي، ويكفينا أنَّ أحفادَنا لَنْ يشعرُوا بالخجل نحونا أمامَ أعدائِنا".

وقمينٌ ذكرهُ هنا أن معظمَ الثوراتِ الكورديَّة كان يتزعهما علماءُ الدينِ وشخصياته البارزين، نظراً لأن الإسلامَ بوصفهِ عقيدةً ومنهجاً للحياة كان ولا يزالُ يشدِّد الوصيةَ على المسلمين كي يتحرَّروا من كُلِّ أشكال الظلمِ والاستبداد، بل وكُلِّ صُورِ التأليهِ الإنسانيِّ الذي تجسِّدُه الدكتاتوريَّة

بأعتى صورهِ وأعنفِ أشكالِه. هذا، وبعد أقل من عقدين وتحديداً في (٢٢ نيسان ١٨٩٨) أصدرَ الأميرُ مدحت بدرخان في القاهرة جريدة كوردية باسمِ (كوردستان)، وذلك لتعريفِ الدول بالقضيَّةِ الكورديَّة، وتنمية وعي الكورد بقضيَّتهم، وصارت هذهِ الجريدة لسانَ حالِ المثقفين الكورد. وكانتِ القاهرة آنذاك مركزاً فكريَّاً وثقافيَّاً للحركاتِ الوطنيَّة والنزعات الإصلاحيَّة والآراء الحرَّة التي أعلنها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وغيرهما مِنَ المفكّرين الأحرار[١١]. وتعدُّ جريدة (كوردستان) أوَّلُ جريدة كورديَّة رسميَّة تنشرُ الدعوة إلى التحرُّر والاستقلال، وتعمدُ إلى تعريفِ الدول والأُمم الأُخرى بأهدافِ وطمُوحاتِ الكورد[١٢]. وعندما تقرأ هذه الجريدة تجد نفسَك وقد تشبَّعت - إلى درجةٍ كبيرة - بالمشاعرِ القوميَّة والوطنيَّة، وقد مثلتْ هذهِ الجريدةُ الانطلاقةَ الإعلاميَّة الأُولى التي أسهمت بشكلٍ فاعِلٍ في زرعِ الوعي القوميّ في أعماق الإنسان الكوردي في أيِّ رجْئ مِنَ أرجاءِ العالَم كانَ قد تركّز وجوده فيه.

بروز النشاط السياسي الكوردي في استانبول

أمَّا فيما يتعلّق بالنشاطِ السياسيّ، فقد "تأسَّسَتْ أوَّلُ جمعيَّة سياسيَّة كورديَّة في استانبول عام ١٩٠٨م، باسم (جمعيَّة تعالي كوردستان) على يدِ مجموعةٍ مِنَ الكورد البارزين أمثال الأمير عالي بدرخان، والجنرال شريف باشا، والسيد عبدالقادر الشمزيني، ثُمَّ أسَّس الطلبةُ الكورد عام ١٩١٠م جمعيَّة (الأمل) وأصدرُوا مجلة (يوم الكورد) عام ١٩١٣م، وتغيَّر اسمها بعد العدد الرابع إلى (شمس الكورد)، وقد كان للمجلة اتجاهٌ قوميٌّ بارز، وكانت تبث الشعور القومي في نفوسِ الكُورد، وواصلت هذهِ الجمعيَّة نشاطها حتَّى دخُول الدولةِ العثمانيَّة الحرب العالميَّة الأُولى، فتعطّلتْ أعمالُها بسببِ ذهابِ جميعِ أعضائِها إلى ميادينِ الحربِ عام ١٩١٤م، وبعد انتهاءِ الحربِ العالميَّة الأُولى عام ١٩١٨م عاودت جمعيَّة (الأمل) نشاطها حتَّى دخُول مصطفى كمال أتاتورك استانبول عام ١٩٢٢[١٣]".

وبعد الحربِ العالميَّة الثانية انطلق الكورد في دعواهم لإنشاءِ دولةٍ كورديَّة على أُسس بنود (ولسون) الأربعة عشر التي أعلنها في كانون الثاني سنة ١٩١٨م. فقد عرضَ (ولسون) اقتراحاً يوجِبُ إعطاءَ الفرصةِ للأقليَّاتِ العرقيَّة الكبيرة داخِل الامبراطوريَّة التركيَّة مثل: الكورد، والأرمن، والآشوريين، لإقامةِ دولتهم الخاصَّة بهم، ولكن معاهدة سيفر الموقّعة سنة ١٩٢٠ بين الحلفاءِ والحكومة التركيَّة تكفّلت بإقامةِ دولةٍ كورديَّة خلالَ سنةٍ من تاريخها، ولكنَّها لَمْ تُترجم عمليَّاً إلى أرض الواقع. فقد رفضها القوميُّون الأتراك الجدُد بقيادةِ مصطفى كمال أتاتورك[١٤].

مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩م

وفي عام ١٩١٩م عقد (مؤتمر الصلح في باريس) أو (مؤتمر باريس للسلام) من قبل الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى للتباحث في أمور السلام بين الأطراف المنتصرة في الحرب (فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والإمبراطورية الروسية) من جهة، والأطراف الخاسرة (الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية وبلغاريا) من جهةٍ أخرى. بدأ المؤتمر أعماله في ١٩١٩/١/١٨م، واختتم في ١٩١٩/١/٢١م. تمخض المؤتمر عن معاهدة (فرساي) التي فرضتْ عقوباتٍ شديدةً على الدُول المنهزمة[١٥].

وراح زعماءُ الوفُودِ للدُولِ الأجنبيَّة في مُؤتمر الصُلح بباريس يؤكدون للجنرال شريف باشا رئيس الوفد الكورديَ بأنه لا بُدَّ من إخلادِ الكوردِ إلى السكينةِ والهدُود، ووقفِ كُلِّ أعمالِ القوَّةِ العسكريَّة حتَّى يمكن تحقيق جميع الآمالَ والأماني القوميَّة للكورد، وأن أي مُحاولة للإخلالِ بالهدُوءِ والسَّلام والأمان سوف تعرِّضُ هذهِ المطالِب الوطنيَّة للخطر[١٦].

وقد قامَ الجنرال (ماك آندرو) قائد قوّات بريطانيا العُظمى في كوردستان بتوزيعِ مَنْشُور على الكورد باللغةِ الكورديَّة جاء فيه: "بِمَا أنَّ سُكّان الأراضي العثمانيَّة التي أكثريَّة سُكّانِها مِنَ العنصر الكورديِّ سيتقرَّر في مُؤتمر الصُلح الذي سوفَ يُحقِّق الأماني القوميَّة الكورديَّة والحقوق الطبيعيَّة للكوردِ وكوردستان، فإنه والحالةُ هذهِ يجب على الكوردِ أن يلتزمُوا بالسكينةِ والهدوء، وأن يطمئنُوا إلى عدالةِ إنجلترا التي ستحافِظُ على حقوق الكورد"[١٧]. وكان واضِحاً مِنْ هذا المنشور أنه مُجرّد مسكّن، وأن كُلَّ ما يهمُّ حكومةَ بريطانيا العُظمى هو إخلاد الكوردِ إلى الهدوءِ والسكينة لطمأنةِ الأتراك، هذا وقد كرّر الجنرال الإنكليزي الكلامَ نفسَهُ قائِلاً: "إنَّ أعظمَ خدمةٍ نُسديها إلى الشعبِ الكورديّ الآن هي أن ندعوه إلى الإخلادِ إلى السكينةِ والتزامِ الصبر والهدوء"[١٨].

معاهدة (سيفر) وتنامي الشعور القومي

وقد حصلَ كُلُّ هذا في الوقتِ الذي بدأ فيهِ الشعورُ القوميُّ يتوسّع ويتنامى رويداً رويداً، وخاصّة بعد مُعاهدة (سيفر) التي عُقدت في (١٠) آب ١٩٢٠م، بين الحلفاء المنتصرين وبين الدولةِ العثمانيةِ المندحرة "وقد أشارتْ هذه المعاهدة ضِمْن بنودِها (٦٢، ٦٣، ٦٤) صراحةً إلى إنشاءِ كيان سياسيَ كورديَ، بل واستقلال كوردستان، وقد ضمّت هذهِ المواد تحديد هُوية الكورد، وتأسيس دولتهم، وكيفية تأسيس هذه الدولة، لكنَّ الحلفاءَ تخلّوا - في نهايةِ المطاف - عن تنفيذِ أو إقرار تلك المعاهدة، ومالُوا إلى تعديلِها بمعاهدةِ (لوزان) في (٢٣) كانون الثاني عام ١٩٢٣م التي أهملت كليَّةً الإشارةَ إلى تلكَ البنود أو إلى أيّ مطالب كورديَّة"[١٩].

ولم يَكُنْ زعماءُ الكوردِ يُدركون أن مُعاهدةَ (سيفر) هذهِ التي صفّق وهلّلَ لها الشعبُ الكورديّ لا تُساوي الورقَ الّذي كُتبت عليهِ، وأن جميعَ الوعُودِ التي كُتبت فيها تبخرت بمجرَّدِ جفافِ المدادِ الذي كتبت به، وأن وفُود الحلفاءِ ومندوبيهم السياسيين في الأستانة راحُوا يُشاركون الحكومةَ التركيَّة في اللعبِ بالكورد[٢٠].

وبمرور الوقت تبخّرت الوعُود في الأثير، ولعبت الأوراق السياسيَّة دورها وعادت التحالُفات والمصالح الدوليَّة تطرحُ نفسَها وبإلحاح، وبدأ الحلفاءُ يتراجَعُون عَنْ كُلِّ الوعُود التي بذلُوها، وأصبحتْ شِعاراتُ حقّ الشعوبِ المقهورة في تقريرِ مصيرها - وحقّ الأقليَّات في الاستقلال - مجرّد حِبْر على ورق إلى درجةِ أن مُعاهدة (لوزان) التي عُقدت بعد مُعاهدة (سيفر) لم يرد فيها أي شيء يخصُّ الكورد سوى بعض العباراتِ الإنشائيَّة الخادِعة، وكان أكثر النَّاسِ سروراً وسعادةً باتفاقيَّة (لوزان) الهزيلة هو مصطفى كمال أتاتورك الذي صفّق طويلاً لهذهِ المعاهدة التي قضتْ قضاءً مُبرماً على كُلِّ الأحلامِ والأماني القوميَّة للكورد، وهكذا طُويت الملفَاتُ السلميَّةُ التي لم تُسْفِر عن شيء[٢١].

اتفاقية (لوزان) ووأد الحلم الكورديّ

وأخيراً تمَّ التخلّي عن فكرةِ إنشاءِ كيان كوردي، وانتهتِ الحربِ العالميَّة الأُولى دون أن يحصُلَ الشعبُ الكورديُّ على اعترافٍ دوليّ ببناءِ كيانٍ مُستقل، إذ لم تتضمَّنْ مُعاهدة (لوزان) سِوَى نصُوص حولَ وجُوبِ احترامِ حقوق الأقليَّاتِ الدينيَّة والثقافيَّة، وهكذا خرجَ الكوردُ بعد هذهِ الحرب وهُمْ موزّعُون بين أربعِ دُول، وهي: تركيا، وإيران، والعراق، وسوريا، بالإضافةِ إلى أقليَّة خامسة تابعة لجمهوريَّة أرمينيا التابعة هِيَ الأُخرى للاتحادِ السوفيتي[٢٢].

بهذهِ الصورة التي عرضناها تجاهلَتْ مُعاهدة (لوزان) - وبشكلٍ تام - حقّ تقريرِ المصير فيما يتعلّق بالشعبِ الكورديّ، وهو ما اعترفتْ بهِ نسبيَّاً مُعاهدة (سيفر) لعام ١٩٢٠م، وهكذا عادتِ القضيَّةُ الكورديَّةُ إلى بدايتها، فبعد أن أصبحتْ قضيَّةً نالتْ اعترافاً قانونيَّاً دوليَّاً تحوَّلتْ مرَّةً أُخرى - وبحكمِ الواقِع - إلى قضيَّةٍ داخليَّةٍ لتلك الدولِ التي تتقاسَمُ كوردستان، وفي هذهِ الحالة تركيا بالدرجةِ الأساس[٢٣]. ومن هنا يتبيَّن بجلاء أنَّ (مُعاهدة لوزان) قَدْ كرَّسَتْ مسألةَ تقسيمِ كوردستان، وبالتالي تقسيم القضيَّة الكورديَّة، وتحويلها إلى قضايا محليَّة بعد أن كانت قضيَّة مركزيَّة واحِدة مُتصفة بطابعٍ دوليٍّ مُعترَف بها[٢٤].

علماً أن مُعاهدة (لوزان) قد نصَّت في موادها الـ(٣٨، ٣٩، ٤٠) مِنَ الفصل الثالث على أن الحكومةَ التركيَّة تتعهّد بأن للكورد - الذين هم أقليَّة جنسيَّة في تركيا - الحقَّ الصريحَ في المحادثةِ بلغتهم القوميَّة، والمرافعة بها أمام المحاكِم التركيَّة، وإصدار

الجرائِد والمجلاّت والكُتب بها، وفي إنشاءِ أنديةٍ كورديَّة علميَّة واجتماعيَّة وتهذيبيَّة، والتجوال في داخِل تركيا وخارجها بكُلِّ حريَّة، وأن يكونوا مُتمتعين بجميعِ الحقوق السياسيَّة التي يتمتّعُ بها الترك. كما تنصُّ المادّة (٣٧) على أن تتعهّد تركيا بألاّ تسنَّ قانوناً أو تصدر قراراً يناقِضُ الحقوقَ سالفةَ الذكر[٢٥].

هذا، وتنصُّ المادّة (٤٤) على أنَّ تعهدات تركيا هذهِ دوليَّة لا يجوزُ نقضها بحالٍ مِنَ الأحوال، وإلاّ فيكون لكُلِّ الدول الموقّعةَ على مُعاهدةِ (لوزان) – والدول المؤلّفة منها جمعيَّة الأمم المتحدة – الحق في الإشراف على تنفيذِ تركيا لهذهِ التعهّدات بدقّة، والتدخُّل ضِدّها لحملِها على تنفيذِ ما تعهّدتْ بهِ أمام العالَم. وعلى الرَّغمِ مِنْ صراحةِ هذهِ المواد وصياغتها الواضحة وعباراتِها البرّاقة إلاّ أن جميعَ موادّها لم ينفّذ منها حرفٌ واحِد، وأدارتْ تلكَ الدول التي وقّعت عليها ظهرها أمام باقي الدول الأوروبيَّة، أمَّا هيئة الأمم المتحدة فقد منحتها آذاناً صمّاء، وكأنها لم تطلعْ عليها أو تسمعْ بها، وهكذا ذهبتْ كُلُّ مَسَاعِي الشعبِ الكورديِّ وجهودهُ أدراج الرياح[٢٦].

وبدلاً من أن يُصبح للكوردِ دولتهم الخاصَّة بهم، وجدُوا حريَّتهم الثقافيَّة والسياسيَّة تتقلّصُ أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، أمَّا الأراضي الكورديَّة الواقعة تحتَ السيطرةِ التركيَّة وجمهوريتها الحديثة التي تزعَمها أتاتورك، فلنْ تعترفَ بكوردستان مرَّةً أُخرى، وسيُدعى السكانُ بـ"أتراك الجبال"، وستُحرم قانونيًّا تلك اللغة التي يتكلّمُها ربع سكّان تركيا[٢٧].

على الرغم من أن التركيبَ القوميَّ الأساسيّ لكوردستان – ومنذ الأزمنةِ الغابرة – كان ولا يزالُ دوماً مِنَ الكورد، أمَّا الشعوب الأُخرى فهم يُعتبرون أقليَّاتٍ قوميَّةً، وأن الدول الثلاث على الأراضي الكورديَّة قد تشكّلتْ في أعقاب المؤتمر الدولي برئاسة دول الائتلاف في (لوزان) عام ١٩٢٣م. وكان العالِم الأمريكي المشهور البروفيسور (أفرايم شبيزر) من جامعة بنسلفانيا والمتخصِّص بتاريخ سومر، هو أوّلُ مَنْ أشارَ إلى "أنَّ الكوتيينَ – السُكّان الأصليين لجبالِ زاكروس – هُمُ الأسلافُ القُدامى للكوردِ الحاليين[٢٨].

وقد ذهب البروفيسور وعالِم الاجتماع التركي إسماعيل بيشكجي في كتابه (كوردستان مستعمرة دولية) إلى أن "الكورد ليسُوا أقلية فهم يعيشون في وطنِهم وعلى أرضِهم، وهُم السُكّان الأصليُّون لهذهِ البلاد، ولم يأتوا إلى كوردستان من إقليمٍ أو مِنطقةٍ أُخرى، وعلى العكس مِنْ ذلك لم يصِلْ الأتراكُ – على سبيلِ المثال – إلى الأناضول إلاّ في القرن الحادي عشر الميلادي، فالكورد ينتمون – شأنهم شأن العرب والفرس – إلى السُكّان الأصليين في الشرقِ الأدنى"[٢٩].

إعلان جمهوريّة مهاباد الكورديَّة

خلال سنواتِ الحربِ العالميَّةِ الثانية[٣٠] التي سبقتْ إعلان الجمهوريَّة، منذ عام ١٩٤١م وإلى ١٩٤٥م، وبعد احتلال قوّات الحلفاء (السوفيت والإنكليز) لأجزاءٍ كبيرة من إيران، وسقوط رضا شاه، أصبحَ هناك فراغٌ إداريٌّ وعسكريٌّ في المناطِقِ الكورديَّة، وكان الوعيُ القوميُّ الكورديّ في تنامٍ مُستمر، فقامَتْ على إثرها انتفاضةٌ كورديَّةٌ في مدينةِ (أروميه) في عام ١٩٤٢م، وفي عام ١٩٤٣م، تمَّ تأسيس (جمعيَّة إحياء الكورد)، وفي عام ١٩٤٥م أعلن عن تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني – إيران، بزعامةِ القاضي محمَّد، كلُّ هذهِ الأحداث مهَدتِ الطريق لإعلان جمهوريَّة مهاباد[٣١].

وهكذا تمَّ الإعلانُ عن ولادةِ أوّلِ جمهوريَّةٍ لكوردستان في مهاباد شمال غربَ إيران، وعاصمتها مهاباد، في ٢٢/ ١/ ١٩٤٦م، بواسطةِ زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني في إيران القاضي محمَّد، وشملت مساحتها (٣٠٪) مِنَ المساحةِ الإجمالية لكوردستان الشرقيَّة[٣٢]. وقد مثلتْ هذهِ الجمهوريَّة نقطة التحوُّل في المطالب القوميَّة الكوردية مِنْ حيثُ الإعلانُ عن شَكْلٍ مِنْ أشكال التنظيمِ الإداريِّ السياسيِّ، وإليها يعودُ الفضلُ في إنشاء أوّل مسرحٍ كورديّ، واستعمال اللغة الكوردية في التعليم، وجعلها اللغة الرسمية في الجمهورية، وإنشاء جيشٍ كورديّ وإذاعة كورديّة، وتكوين نقاباتٍ مهنية، وفي إغناء الصحافة الكوردية، والإصلاحات الزراعية والإدارية، وفي إعطاء دور للمرأة، وتطوير الفن الكوردي، وتحريك القضية الكوردية دولياً[٣٣].

ولكن هذهِ الجمهوريَّة التي كانتْ مدعومةً سوفيتياً – كدويلةٍ كورديَّة صغيرة – لم تدُم أكثر مِنْ (١١) شهراً بعد إعلانها[٣٤]، لأن الضغطَ الذي مارسَهُ الشاه على الولاياتِ المتحدة التي ضغطتْ بدورها على الاتحادِ السوفيتي كان كفيلاً بانسحابِ القوّاتِ السوفيتية مِنَ الأراضي الإيرانيَّة، وقامتِ الحكومةُ الإيرانية بإسقاط هذهِ الجمهورية، وإعدام القاضي محمَّد في (٣١) مارس/ آذار ١٩٤٧م في ساحة (جوار جرا) في قلبِ مدينةِ (مهاباد)، وهي تلك الساحة التي أعلنَ فيها القاضي محمَّد تأسيس الجمهوريَّة الكورديَّة، وهكذا تمَّ القضاءُ على هذهِ الدولةِ الفتية، وأسدل الستار عليها بصورةٍ مأساويّة أنزلتْ ضربةً قويَّةً على الحركةِ التحرريَّة الكورديَّة، بَلْ شكّلتْ صدمةً عنيفةً لجميعِ الوطنيين الكورد في مختلفِ أنحاءِ كوردستان، مِمَّا أجبرَ المقاتلين البارزانيين بقيادةِ الملا مصطفى البارزاني على العودةِ إلى العراق[٣٥].

أسباب الانهيار السريع لجمهوريَّة مهاباد

وهناك بالطبع عوامل عديدة دولية وإقليمية وداخلية أدَّتْ إلى الانهيار السريع للجمهوريةِ الوليدة، وتمثلت أبرزُ العوامل الدوليّة في الصراع السوفيتي مع الغرب الذي استثمرته

حكومةُ طهران، إلى جانب العوامل الداخلية المتعلّقة بالمصالح الاقتصاديّة والاجتماعيّة للقبائل الكورديّة، وعدم استطاعة الحزب الديمقراطي الكوردستاني - إيران، اعتماد سياسة دبلوماسيّة ناجحة في احتوائها، فضلاً عن الافتقار إلى استراتيجيّة قوميّة مع أجزاء كوردستان الأُخرى (تركيا، العراق، سوريا)، إضافةً إلى محدوديّة مساحة الجمهورية إلى جانب الارتجالية والعفوية والعاطفة القوميّة التي كانت من سِمات هذه التجربة(٣٦).

هذا، وقد كتبَ الدكتور عثمان علي ملخِّصاً هذهِ التجربة بقوله: "إن هناك منعطفاتٌ مهمّة في تاريخ الكورد في القرنِ العشرين، وأن عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ اللذين شَهِدَا ولادة جمهوريّة كوردستان في مهاباد أهمَّ هذهِ المنعطفات. هناك الكثير مِنَ الدراسات حول تجربة مهاباد التاريخيّة، لكنَّ أهميّة البحث تستحقَ مِنّا وقفةً جديّةً بينَ حينٍ وآخر مع هذا الحدث، وفي ضوء الوثائقِ الرسميّة التي بدأت تظهرُ في كُلٍّ مِنْ روسيا وإيران وبريطانيا وأمريكا. وهذا ما أشارَ إليهِ الكاتِب محمُود مُلا عزّت في كتابهِ (كوماری مهاباد: نامه و دوكيمنت، الجزء الثالث). فإنَّ هذهِ الدراسةُ استفادتْ مِنْ هذهِ الوثائقِ الجديدة، وتحاولُ تقييمَ الأحداثِ بنظرةٍ نقديَّةٍ جديدة.. يعتقِدُ كاتِبُ الأسطر أن هناكَ جُملة عوامِل محليّة وإقليميّة ودوليّة ساهمتْ في تمكينِ الكوردِ مِنْ تحقيقِ الحلُم الذي راودهم، لأكثر مِنْ مائةِ عام، وهو تأسيسُ كيانٍ قوميّ كورديّ لهم، ولو لفترةٍ زمنيَّةٍ وجيزة، وبالمقابل توجدُ عوامِل أُخرى، محليَّة وإقليميَّة ودوليَّة أيضاً، أدّتْ إلى وأدِ التجربة مبكّراً، والقضاء على الجنينِ قبلَ أن يتكامَل ويقوى للوقُوفِ على رِجْلَيهِ. يُبدو أن الكورد بتأسيسهم جمهوريَّة مهاباد أرادوا القضاءَ - بوعي أو بدون وعي - على النظام الرسميّ والأمنيّ والإقليميّ الذي أفرزتهُ أحداثُ الحربِ العالميَّةِ الأُولى، واتفاقيات (سايكس بيكو)، و(لوزان) في العشرينيات مِنَ القرنِ الماضي، وكان ذلك مرفوضاً مِنَ القوى الإقليميَّة والدوليَّة(٣٧).

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتجدُّد الوعي القومي

واستكمالاً للمشهدِ التاريخيِّ الذي عرضناهُ آنفاً فيما يتعلّق بتنامي الوعي القومي، فإننا نستهلُّ كلامنا بذكرِ الانقلاب العسكري الذي أطاح بالملكيّة الهاشميَّة ليلة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨ ذلك الانقلابُ الذي شاركتْ فيه النخبةُ الكوريَّةُ الواعية، لأنها رأتْ في تحقيقِ الاستقلال الوطنيّ - وتحريرِ البلادِ سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً - تحقيقاً لأهدافِ ومصالِح الكوردِ أيضاً، وعلى هذا المنوال اشترك الضبّاط الكورد في الجيش العراقيّ جنباً إلى جنبِ الضباط العرب في الثورة، لأن تنظيمَ الضبّاطِ الأحرار الذي خطّطَ للثورةِ كان يضمُّ في صفوفهِ ضباطاً كورداً(٣٨). وبعد قيام الثورةِ بأسبوعين أُعْلِنَ الدستورُ المؤقتُ في ٢٧ تموز ١٩٥٨م، وقد

نصَّت المادّةِ الثالثةِ منه على أنَّ "العُربَ والكورد شركاء في هذا الوطن، ويقرّ الدستور حقوقهم القوميَّة ضمن الوحدةِ العراقيَّة"[٣٩].

ولقد أعطى هذا الاعترافُ الدستوريُّ دفعةً كبيرةً للشعبِ الكورديِّ وحركتهِ القوميَّة، وفي اليوم نفسهِ الذي أعلنَ فيهِ الدستور المؤقت، قام وفد كوردي بزيارةِ عبدالكريم قاسم، وقد ترأس الوفدُ الأستاذ إبراهيم أحمد الذي ألقى خطاباً استعرضَ فيهِ العَلاقاتِ العربيَّةَ الكورديَّةَ منذ ظهورِ الإسلام، مؤكِّداً أنَّ الكورد شاركُوا العربَ في كفاحِهم ضِدَّ الملكيَّة[٤٠].

ولكنَّ الربيع الكورديَّ – العربيَّ لم يدم طويلاً، بَلْ تحوّل إلى شتاءٍ قارس، وخاصّةً في أواخر عام ١٩٦٠م حيث وصلَ الوضعُ في كوردستان إلى مرحلةٍ حسّاسة، وكانتِ الحكومةُ مستمرة في تناسيها لخطواتِها الإيجابيَّة بعد الثورةِ مُباشرة تجاه القضية الكورديَّة في العراق، ولم تكنْ هناك رؤية واضحة أو برنامج عمليّ حول المادَّة الثالثة من الدستور المؤقت لتحديدِ الحقُوقِ القوميَّة للشعب الكورديّ، مِمَّا أدّى إلى تدهورِ العَلاقاتِ بينَ الكوردِ والحكومةِ العراقيَّة. وفي الوقتِ نفسهِ بدأتِ الحكومةُ العراقيَّة بطردِ الضبّاط الكورد ومنتسبي الجيش والدوائر الحكوميَّة، وخاصّة في المحافظاتِ الكورديَّة، وانحازتِ الحكومةُ إلى الأغوات في كوردستان، وولّت ظهرها للحزبِ الديمقراطيّ الكوردستانيّ، وأمرتْ بغلقِ جريدةِ (خبات) الكورديَّة، واعتقالَ عددٍ مِنْ كوادر اللجنة المركزيَّة للحزب، بتهمةِ تورُّطِهم في حادثِ اغتيالِ صديق ميران. وفي (٣٠) تموز/ ١٩٦١م، أرسلَ المكتب السياسي للحزب الديمقراطيّ الكوردستاني رسالةً مُطوّلة إلى عبدالكريم قاسم، وطلب منه وضعَ حدٍّ لهذا التوتر في العَلاقات، والعمل على حلِّ المشكلاتِ بالروحِ الأخويَّة، لكنَّ عبدالكريم قاسِم أهملَ الرسالةَ، واستمرّ التوتّر، مِمَّا أدّى إلى اندلاعِ الثورةِ في (١١) أيلول/ ١٩٦١[٤١].

نتائِج الثورة الكورديَّة في ١١ أيلول سنة ١٩٦١

وكان من نتائِج الثورة الكورديَّة إضعاف موقِف عبدالكريم قاسم في الداخِل والخارج، وتشتيت جهوده ما بين الشمال والجنوب، فأخفق في ضمِّ الكويت، وفشل في إخمادِ الثورةِ الكورديَّة، كما عجز عن إثباتِ ذاتهِ في نطاق القوميَّة العربيَّة، ولم ينجحْ في تدعيمِ تحالفهِ مع الاتحاد السوفيتي. والنتيجة الثانية هِيَ فقدان السيطرة على الوضعِ الداخليّ، مِمَّا أدّى إلى نجاحِ تحالُف القوميين العرب والبعثيين في تنظيمِ انقلابهم في (٨) شباط/ ١٩٦٣م، والقضاء على نظامِ حُكم عبدالكريم قاسِم. والنتيجة الثالثة هي تنامي الثورة الكورديَّة في كوردستان، وإثباتِ قدرة الكورد على التأثيرِ في الوضعِ الداخليّ للعراق، مِمَّا أدّى إلى لفتِ أنظارِ بعضِ القوى الدوليَّة إلى التعامُلِ مع الثورةِ الكورديَّة،

والاستفادةِ منها للتأثيرِ في الحكمِ العراقيَ لتحقيقِ مصالِحها[٤٢].

وفي (٨) شباط/ ١٩٦٣م أي في الرابع عشر من رمضان نجح الائتلاف البعثي الناصري في السيطرةِ على السلطة، وإنهاء حكم قاسِم، وتشكيل (مجلس وطني لقيادة الثورة) تألّفت أغلبيته من أعضاءِ حزب البعث. وفي (٩) شباط شكّلت حكومة جديدة، ورقي العقيد عبدالسلام عارف إلى رتبةِ المشير، وانتخبَ من قبل المجلس الوطني لقيادة الثورة كأوّل رئيس للجمهوريَّة العراقيَّة، كما عُيِّنَ قائداً عامّاً للقوّات المسلحة. وعُيِّن العميد أحمد حسن البكر أحد الأعضاء البارزين في حزب البعث العربيَ الاشتراكيَ رئيساً للوزراء. وضمّت هذهِ التشكيلة الوزارية وزيرين كورديين هما: فؤاد عارف، وبابا علي[٤٣].

المفاوضات الكورديَّة مع عبدالسلام عارف

وقد أسرعَ عبدالسلام عارف عقبَ نجاحِ الانقلاب في الدخُول مع مفاوضاتٍ مع الكورد، ونجح في إقناعهم أنهم سوف يحصلُون على شيءٍ قريب مِنَ الاستقلال الذاتي، وفي (٩) مارس/ ١٩٦٣م، نشرت الحكومة العراقيَّة تصريحاً اعترفت فيهِ للشعبِ الكورديَ بالحقوق القوميَّة على أساس اللامركزيَّة[٤٤]. وفي (١٨) نوفمبر/ ١٩٦٣م، أطاح رئيس الجمهوريَّة عبدالسلام عارف، برئيس وزرائه أحمد حسن البكر، ومعه كافة أعوانه البعثيين، لأن عبدالسلام لم يكن بعثيّاً، وقد اتخذ النزاعُ بين السلطة الجديدة والكورد اتجاهاً جديداً، فقد أُعلِنَتْ هدنةٌ بين الطرفين، وأصدر كل من الملا مصطفى البارزاني والرئيس العراقي عبدالسلام عارف أمراً بوقفِ إطلاق النار في العاشر من شباط سنة ١٩٦٤م[٤٥].

ومن جانب آخر بدأ الاهتمام الإسرائيلي بالحركة الكورديَّة في عام ١٩٦٢-١٩٦٣م، عندما أصبحتِ الحركة الكورديَّة عاملاً مؤثِّراً في السياسة العراقيَّة، وكانت الغايةُ من ذلك إبقاءُ الجيش العراقيَ متورِّطاً في صراعِ طويلٍ يجعلُ أي مساهمةٍ عراقيَّة ضِدَّ إسرائيل أمراً رمزيّاً لا غير[٤٦]. حتَّى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي (ليفي أشكول) وافقَ على العملِ مع الكوردِ في إطارِ العَلاقةِ مع إيران، وأوصَى بأنه يجبُ الحِفاظُ على الجذوةِ مُشتعلةً مع الحِرْص على أن لا تتحوَّلَ إلى حريق[٤٧].

وفي (١٧) تموز/ ١٩٦٨م، جرى انقلاب آخر دفع بالبعثين من جديد إلى السلطة، وفي (٣٠) تموز/ ١٩٦٨م، استطاع البعثيُّون برئاسة أحمد حسن البكر وصدَّام حسين الاستيلاءَ على السلطةِ بصورةٍ كامِلة. وكان الهدفُ الأوّل للبعثِ في هذهِ المرة هو إنشاء نظام قابل للبقاء ومقاوم للانقلابات، وكانتِ السياسةُ في العراق في تلك الفاصلة الزمنيَّة قد تطوّرت إلى صراعِ داروينيٍ من أجلِ البقاء، وكانتِ النتيجةُ حُكماً استبداديّاً

شموليّاً، وكانت أساليبُ وخطط الحكم البعثيّ تتويجاً وتثبيتاً لممارساتٍ سابقة، والفرقُ الكبيرُ كان قد تمثل في درجةِ القهرِ التي كان الحزبُ مستعداً لاستخدامِها مِنْ أجلِ البقاء(٤٨)

الهوامش:

١- الأكراد تاريخ شعب وقضيَّة وطن، أحمد تاج الدين، ط(١)، الدار الثقافيَّة للنشر، القاهرة - مصر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٦٤.
٢- المرجع نفسه: ٦٤.
٣- حوار مع المؤرخ الكوردي الدكتور كمال مظهر أحمد، حاروه: أيوب رضا، عبر فضائية كوردسات.
٤- المرجع نفسه.
٥- الأكراد في نظر العلم، الدكتور محمد رشيد الفيل، مطبعة الآداب، بغداد - العراق، ١٩٦٥م، ص١٩.
٦- الأكراد تاريخ شعب وقضيَّة وطن: ٧٧.
٧- آريا القديمة وكوردستان الأبدية.. الكورد من أقدم الشعوب، صلوات كوليا موف، ترجمه عن الروسيَّة د.إسماعيل حصاف، ط(١)، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، مطبعة روزهةلات، أربيل - كورستان العراق، ٢٠١١م، ص١٥.
٨- آريا القديمة وكوردستان الأبدية.. الكورد من أقدم الشعوب، ص١١.
٩- الأكراد في عهد عماد الدين زنكي، د.محمد فتحي الشاعر، توزيع دار المعارف، ١٩٩١م، ص٥.
١٠- حوار مع المؤرخ الكوردي الدكتور كمال مظهر أحمد.
١١- كوردستان والحركة القوميَّة الكوردية، جلال الطالباني، ط(٢)، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ١٩٧١م، ص٩٠.
١٢- الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن: ٩٥.
١٣- تاريخ الأكراد، توماس بوا، تر: محمد تيسير ميرخان، ط(١)، دار الفكر دمشق - سورية، ٢٠٠٠م، ص١٩٤.
١٤- أبناء الجن.. مذكرات عن الأكراد ووطنهم، د.مارغريت كان، تر: نورا شيخ بكر، مطبعة الخلود، دمشق - سورية، ص٢٩.
١٥- ينظر: ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة.
١٦- الأكراد.. تاريخ شعب وقضية وطن: ١٠٧.
١٧- المرجع نفسه: ١٠٧.
١٨- المرجع نفسه: ١٠٧.
١٩- كورد العراق منذ الحرب العالميَّة الأولى ١٩١٤ وحتَّى سقوط الملكيَّة ١٩٥٨م، محسن محمَّد المتولي، ط(١)، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١١٤.
٢٠- الأكراد.. تاريخ شعب وقضية وطن: ١٠٧.
٢١- المرجع نفسه: ١٠٨.
٢٢- الشعب الكوردي والسياسات الدوليَّة في القرن العشرين كورستان العراق أنموذجاً.. دراسة تحليليَّة ناقدة، د.هادي علي، ط(١)، دار روشنبير للنشر والتوزيع، السليمانيَّة - كوردستان، ٢٠٠٨، ص٥٣.
٢٣- الوضع القانوني لإقليم كوردستان العراق في ظلِّ قواعِد القانون الدولي العام.. دراسة تحليليَّة - ناقدة، الحاكم عبدالرحمن سليمان الزيباري، ط(١)، مطبعة وزارة التربية، أربيل - إقليم كوردستان، ٢٠٠٢م، ص٨٦.
٢٤- الوضع القانوني لإقليم كوردستان في ظلِّ قواعِد القانون الدولي العام، ص٨٧.
٢٥- الأكراد.. تاريخ شعب وقضية وطن: ١٠٨.
٢٦- المرجع نفسه: ١٠٨- ١٠٩.
٢٧- أبناء الجن.. مذكرات عن الأكراد ووطنهم: ٢٩.
٢٨- آريا القديمة وكوردستان الأبدية.. الكورد من أقدم الشعوب، ص١١-١٢.
٢٩- كوردستان مستعمرة دولية، إسماعيل بيشكجي، تر: زهير عبدالملك، ص٢٦.
٣٠- الحرب العالمية الثانية: هي نزاع دولي مدمر

بدأ في الأول من سبتمبر ١٩٣٩م في أوروبا وانتهى في الثاني من سبتمبر ١٩٤٥م، شاركت فيه الغالبية العظمى من دول العالم، في حلفين رئيسين هما: قوات الحلفاء، وتضمُّ مجموعة كبيرة من الدول أهمها: بريطانيا، وفرنسا، والصين، وبولندا، ثم ومن بعد قصف اليابان لميناء (بيرل هاربور) الأمريكي في حادثة شهيرة انضمّتِ الولايات المتحدة الأمريكية إلى قوات الحلفاء في الحربِ ضِدَّ دُولِ المحور، وهي تلك الدول التي شكّلتْ تحالُفاً عسكريّاً في الحرب العالمية الثانية تضمُّ أساساً ألمانيا النازية بقيادة أدولف هتلر، وإيطاليا الفاشية بقيادة بينيتو موسوليني، ثم انضمّتْ إليهم اليابان بقصفها لميناء (بيرل هاربور) الأمريكي، وانضمَّ إليهم دُول أُخرى، مثل: النمسا، ورومانيا، وبلغاريا، والمجر. وكانتِ الحربُ أساساً بين دول المحور الثلاثة: (الإمبراطورية اليابانية – الفاشية الإيطالية – النازية الألمانية) ضِدَّ دُوَلِ التحالُف (الاتحاد السوفيتي – بريطانيا – فرنسا – الولايات المتحدة الأمريكية) التي انتهت بانتصار دول الحلفاء.

٣١- الحركة الكورديَّة المعاصرة.. دراسة تأريخية وثائقية ١٨٣٣- ١٩٤٦، د.عثمان علي، ط(٣)، مكتب التفسير للنشر والإعلان، أربيل – إقليم كوردستان، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص٧٢٠.

٣٢- ينظر: ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة.

٣٣- تجارب الحكم الكردية.. رؤية نقدية، د.نجدت عقراوي.

٣٤- ينظر: ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة.

٣٥- ينظر: كوردستان والحركة القوميَّة الكوردية، ص٢٦٣.

٣٦- تجارب الحكم الكردية.. رؤية نقدية، د.نجدت عقراوي، الجزيرة (نت).

٣٧- الحركة الكورديَّة المعاصرة.. دراسة تأريخية وثائقية ١٨٣٣- ١٩٤٦، ص٧١٣-٧١٤.

٣٨- كورد العراق منذ الحرب العالميَّة الأولى ١٩١٤ وحتَّى سقوط الملكيَّة ١٩٥٨م، ص٢٩٧-٢٩٨.

٣٩- القضية الكورديَّة في العراق من الاحتلال البريطانيّ إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤-٢٠٠٤، د.حامد محمود عيسى، ط(١)، مطبعة مدبولي، ٢٠٠٥م، ص٣٠٣.

٤٠- البارزاني والحركة التحرريّة الكورديَّة ١٩٥٨- ١٩٦١م، مسعود البارزاني، ط(١)، مطبعة خبات، دهوك، ١٩٩٨م، ص٣٥.

٤١- البارزاني والحركة التحرريَّة الكورديَّة ١٩٥٨- ١٩٦١م، ص١٥٢-١٥٥.

٤٢- موسوعة مقاتل من الصحراء، ص٣١-٣٢، الشعب الكوردي والسياسات الدوليَّة في القرن العشرين.. كوردستان العراق أنموذجاً: ٩١.

٤٣- العراق والمسألة الكورديَّة ١٩٥٨- ١٩٧٠م، سعد ناجي جواد، لندن، ١٩٩٠م، ٧٧-٧٨.

٤٤- البارزاني والحركة التحرريَّة الكورديَّة ١٩٥٨- ١٩٦١م، ص٨٦. الشعب الكوردي والسياسات الدوليَّة في القرن العشرين.. كوردستان العراق أنموذجاً: ٩٦.

٤٥- القضية الكورديَّة في العراق من الاحتلال البريطانيّ إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤-٢٠٠٤، ص٣٤١.

٤٦- العراق والمسألة الكورديَّة ١٩٥٨- ١٩٧٠م، د.سعد ناجي جواد، ص١٨٥، الشعب الكوردي والسياسات الدوليَّة في القرن العشرين.. كوردستان العراق أنموذجاً: ١١٠.

٤٧- الموساد في العراق ودول الجوار، شلومون نكديمون، تر: بدر عقيلي، ط(٢)، دار القدس، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م، ص٩٦.

٤٨- عراق المستقبل: دكتاتوريَّة ديمقراطيَّة أم تقسيم، ليام اندرسن، وغاريث ستانسفيلد، تر: رمزي. ق. بدر، مراجعة وتقديم وتعليق: ماجد شبر، ط(١)، شركة دار الورّاق للنشر، لندن، ٢٠٠٥م، ص١٠١-١٠٢.

في ذكرى استشهاد العلامة ناصر سبحاني..

ضوء على أهم نتاجاته العلمية

2 - 1



د. عمر عبد العزيز

تمر علينا في هذه الأيام (تحديدا ١٨/٣/١٩٩٠) ذكرى استشهاد العالم المعاصر والداعية الصابر العلامة الشهيد (ناصر سبحاني) (١٣٧١-١٤١٠هـ/١٩٥١-١٩٩٠م)، الذي عاش في حقبة اتسمت بالاضطراب والأزمات العديدة، سواء بالنسبة لبلده إيران، أو لمنطقة الخليج والعالم الإسلامي على وجه العموم.. ولقد طوته بلاده لظروف سياسية وأسباب مذهبية، ولولا انغلاق تلك البلاد على خارجها لذاع صيت الشهيد العلامة (سبحاني)، ولكُتبت حول حياته ونتاجاته العلمية وتميّز أفكاره، وجهوده الإصلاحية، عشرات من الدراسات، ولكن يبدو أنه- رحمه الله- قد ظُلم مرتين: مرة في حياته، حيث اعتقلته السلطات الإيرانية عام ١٩٨٩م بسبب أفكاره وآرائه المتميزة، وتصوراته العلمية، ومواقفه المبدئية الجريئة والحاسمة، وعُذّب بشتى الأساليب، وحُكم عليه بالإعدام خفية، دون إعلان حكمه، أو أيّ ذكر للتهمة الموجهة إليه. وظُلم بعد وفاته، حيث حاولت تلك السلطات أن تخفي خبر إعدامه وقضيته- من الأساس- عن عامّة الناس، وهذا الظلم الثاني بدأ منذ أول أيام الإعلان عن وفاته، حيث منعت الجهات الحكومية أهله وأنصاره أن يعقدوا له مجلس عزاء، كما منعتهم من نقل جثته التي دفنت في مدينة بعيدة عن مسقط رأسه.

ولقد مضى على استشهاد هذا الداعية العبقري ما يقرب من ربع قرن - لحين كتابة هذه الأسطر- ورأيت أنه من الظلم بحقه أن يُهمَل الحديث عنه وعما تركه لأكثر من

عقدين من الزمن، على أن الأمة– دعاة ومدعوين، قادة و شعوبا– بأمسّ الحاجة لبثّ أفكار مثل هؤلاء الكبار من العلماء والمجتهدين. ولقد كان هو يحرّم على نفسه، وعلى غيره من العلماء، ستر العلم، أو السكوت عن الإفصاح بالحق، معتقدا أن زكاة العلم نشره وإيصاله إلى من يحتاجه، كما أن زكاة المال إنفاقه على مستحقيه.

ولكوني قد عايشت هذا العالم الجليل قرابة عقد من الزمن، رأيت من واجب الأخوة عليّ أن أستغل فرصة ذكرى استشهاده لعرض جانب من شخصيته، مع إلقاء ضوء على أهم نتاجاته العلمية.

إن العلامة (ناصر سبحاني) قد تميّز بطول باعه العلمي وموسوعيته المشهودة، في جميع مجالات القرآن وعلومه وتفسيره، والحديث وعلومه، والفقه، وأصوله، وعلوم اللغة والبلاغة.. تشهد له في ذلك نتاجاته وآثاره، المتمثلة في مئات من الدروس والمحاضرات العلمية المسجلة، وعدد من الكتب والرسائل والدراسات، المطبوعة منها، وغير المطبوعة. كما بلغ سموّ فكر الشهيد شأوا بعيدا، حتى إن كثيرا من علماء المنطقة، والمطّلعين على أفكاره، اعتبروه مجتهدا في مجال فقه القرآن واستنباط الأحكام فيه، ومبدعا في وضع نظريات علمية جديدة– إلى حد بعيد– في مجالات التفسير وعلوم الحديث وأصول الفقه. فهو في تناوله لكثير من القضايا المثيرة للجدل في الأوساط العلمية لبلده، سابق غير مسبوق.

إن آثار هذا العالم الجليل ليست مجرد صفحات أو محاضرات أنتجتها عبقريته الفذة، وإنما تنطوي على فهم دقيق، وعلم غزير، واستكشاف رؤى ونظريات جديدة في العلوم الإسلامية، وإسهامات معرفية وفكرية، تدفع نحو التجديد مع التأصيل. ولقد آثر العلامة (سبحاني) التنظير والتأصيل على الفتوى المجرّدة، وجمع بين أصالة الأقدمين والسلف، وواقعية وانفتاح المحدثين والخلف، كما كان موفقا في التوفيق بين البحث عن العلم والمعرفة، ودمجهما في العمل والحركة.

ولذا فإنني أعدّه– ومعي من عرفه– من نوادر النوابغ الذين برزوا في الأمة الإسلامية، من الذين هداهم الله ووفّقهم لكي يجمعوا بين العلم والعمل، والمعرفة والتقوى، والإخلاص والإتقان في سلوكهم، وأن يجمعوا بين الأصالة والمعاصرة، والاتّباع والتجديد في فقههم ومنهجهم، وإنني– ولا أزكّيه على الله– أعدّه من أئمة الهدى، من الذين استوقفتني عبارة للإمام (الحارث المحاسبي) يصفهم بها، ولم أجد عبارة أوجز وأوفى بحقه مما قاله هو، ولعلّ من رآه ولازمه لأيام يصدّقني أن (سبحاني) من مصاديق ونماذج تلك الفئة الإيمانية، التي أشار إليهم (المحاسبي) في رسالته (الوصايا)، الذين يقول رحمه الله فيهم: " قيّض لي الرؤوف بعباده قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى وأعلام الورع وإيثار الآخرة على الدنيا، ووجدت إرشادهم

ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى، مجتمعين على نصح الأمة، لا يُرَجُّون أبداً في معصيته، ولا يُقَنِّطون أبداً من رحمته... وَرِعين عن البدع والأهواء، تاركين التعمّق والإغلاء، مبغضين للجدال والمراء، متورِّعين عن الاغتياب والظلم، مخالفين لأهوائهم، محاسبين لأنفسهم، مالكين لجوارحهم، ورعين في مطاعمهم وملابسهم وجميع أحوالهم، مُجانبين للشبهات، تاركين للشهوات، مجتزئين بالبُلْغة من الأقوات، متقلّلين من المباح، زاهدين في الحلال، مشفِقين من الحساب، وَجِلين من المعاد، مشغولين بينهم، مُزْرين على أنفسهم من دون غيرهم، لكل امرئ منهم شأن يغنيه ... ذلك أورثهم الحزن الدائم والهمَّ المقيم، فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها. ولقد وَصَفوا من آداب الدين صفات، وحَدُّوا للورع حدوداً ضاق لها صدري.. وأيقنتُ أنهم العاملون بطريق الآخرة، والمتأسون بالمرسلين، والمصابيح لمن استضاء بهم، والهادون لمن استرشد."(١)

ولئن قال قبلي المفكر العظيم العلامة الشيخ (محمد عبده)، بحق أستاذه المصلح الكبير (جمال الدين الأفغاني): "إن والدي أعطاني حياة يشاركني فيها أخواي: (علي) و(محروس)، ولكن السيد (جمال الدين الأفغاني) أعطاني حياة أشارك بها محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام والأولياء.." أقول أنا الفقير إلى ربه: لقد رأيت الكثير من أهل العلم والفكر والثقافة، ورافقتهم وسهرت معهم، وتعلَمت منهم الكثير، إلا أنني تعلمت من العلامة الشهيد (ناصر سبحاني)، أن الذي أخذته عن غيره كان قليلا جدا، مقارنة بما أنعم الله عليه من فيض القرآن وعلومه، وسعة المعرفة، ونفاذ البصيرة.

ضوء على أهم نتاجاته العلمية:

لم تمنع الجهود الإصلاحية للعلامة (سبحاني)- سواء قبل وأثناء الثورة الإيرانية، أم بعدها- ولا انشغاله بالأحداث السياسية في بلده ومنطقته، ولا تخصيص جلّ وقته للمحاضرات والدروس التربوية والعلمية والدعوية، أن يسترق من وقته للدراسة والتحقيق والكتابة والتأليف. صحيح أنه – رحمه الله- قد نشأ في قرية صغيرة، ثم في بلدة متواضعة، وكذلك في زمن وظرف مكاني ضيقتهما الظروف السياسية القاهرة، إلا أنه ساح بفكره النيّر وبصيرته النفاذة في آفاق العلم والثقافة، وعاش بهمومه العالية آمال وآلام الأمة الإسلامية شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، وفي طول التاريخ وعرض البلاد والواقع الذي عايشه.

والدليل على أن محيطه الاجتماعي والظروف الاستثنائية الطارئة على بلده، لم يؤثرا عليه سلبا، ما نجده في كتبه ومؤلفاته من الفكر العميق، والعلم الغزير، والدقة الأكاديمية، والنظرة الواقعية، والفهم الشمولي المتكامل، والاستشراف المستقبلي. هذا ما يلاحظه أي باحث أو محقق يراجع

كتبه وتأليفاته وأبحاثه، أو يستمع إلى دروسه وندواته ومحاضراته المسجلة. ومن البحاثة المعجبين به المفكر العراقي الشهير الأستاذ (عبد المنعم صالح العلي) المعروف بـ(محمد أحمد الراشد)، الذي لم يقرأ إلا يسيرا من أفكاره، ولم يلتق به إلا لوقت محدود، ولكنه وصف العلامة ناصر سبحاني بـ(الشهيد السعيد البطل)، ووصفه كذلك بـ(الوجه العلمي)، وبواضع ما سماه (الجهاد الواعي)، فقال: "... الشهيد السعيد البطل ناصر سبحاني رحمه الله، الذي كان الوجه العلمي للدعوة في إيران، كان ميّالا إلى العزائم والصراحة.." كما وصفه بأنه "عالم عميق العلم". وقال كذلك: "تأسس مذهب الجهاد الواعي، وتأسست شروحه الجلية التي أدلى بها شهيد إيران ناصر سبحاني."(٢)

ولكن ينبغي التنويه هنا إلى أمر مهم، وهو أن الظروف الأمنية والسياسية الحاكمة على عائلته وأصحابه- في بلدهم- لم تسمح بطبع شيء من آثاره العلمية هناك، إلا نذرا يسيرا من نتاجاته، ولكن بعض الخيّرين من محبيه في إقليم كوردستان العراق قاموا بطبع ونشر عدد منها، (٣) وهي التي سنشير إليها في الفقرات التالية:

أولا / كتبه المطبوعة:

لم يستكمل العلامة (ناصر سبحاني) الأربعين من عمره، ومع هذا العمر القليل قضى معظم أوقاته في الغربة والحرمان والاختفاء، بسبب ظروف أمنية، حيث كان ملاحقا لمدّة ثماني سنوات من قبل السلطات الإيرانية، إضافة إلى أنه كان يكلف بين فينة وأخرى من قبل محبّيه بتدريس طلاب العلوم الشرعية، وإلقاء المحاضرات التربوية والعلمية، وإدارة الدورات، التي كانت تفتح بعيدا عن أعين السلطات، التي كانت تتابع أثره عن كثب، لهذا لم يتمكن- رحمه الله- من التفرغ للكتابة الكثيرة.

ورغم أن دروسه العلمية المسجلة على (الكاسيت) السمعية، قد فاقت ٦٥٠ ساعة، - وهي في شتى العلوم والمواضيع الفكرية والتربوية القيمة، كما هي في حد ذاتها ذخر علمي بات يستفيد منها طلاب العلم، وبدأت بعض المؤسسات بكتابتها من جديد، تمهيدا لطبعها في صورة كتب ودراسات- رغم ذلك كله لم تمنعه تلك العقبات من أن يسترق بعضا من أوقاته لتأليف بعض الكتب الفكرية المهمة، وكتابة بعض الرسائل ذات القيمة العلمية، ومنها ما طُبع في كوردستان العراق (٤) بعد وفاته بأكثر من١٧ -٢٠ سنة، وهي ما سألقي عليها الآن بعض الضوء:

١- كتاب الولاية والإمامة:

هذا الكتاب من أهم كتبه، لأنه مخصص لدحض التصورات المغلوطة المتعلقة بموضوعي الإمامة والولاية، اللتين أشغلتا ذهن علماء الأمة لقرون مديدة. ولقد ألّفه عام ١٩٨٦م لّما أعلن بعض علماء الشيعة عن أن لنائب المهدي الولاية المطلقة على الكون. ولذا ألّفه- بنفسه- باللغتين العربية والفارسية.

والكتاب في طبعته العربية يتكون من١٧٦صفحة من الحجم المتوسط، وهو الكتاب الأول من سلسلة كتبه المطبوعة باللغة العربية، طبع عام ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م، (٥) ولقد بدأ به بمقدمة مفصلة أشار فيها إلى نبذة عن تاريخ الهدي الإلَهي، وكيف أن الابتعاد عنه أتي بأيام ".. أمست تقود فيها المنهزمين مختلقاتُ ومصطنعاتُ اليونان والصين والهند والبعيد والقريب، فتبلّد السمعُ، وغشيت الأبصار، وتغيرت القلوب والأفئدة، لتحلّ محلّها الأذهان المتصلبة الباردة، والتبست المعروفات والمنكرات. فلم يَرُعِ الناس إلا لسان القرآن يصبح غريبا، ووجوه السنن في الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية تمسي منكرة. فكان أن صارت الألفاظ من القرآن، والمعاني من هذا وذاك، وجاءت الولاية خِلعةً لفلان، والإمامة هدية لفلان. وبدا ما لم يكن يُحتسب، وحدث ما لم يكن ينبغي."

ثم عرض في المقدمة منهجيته في الحديث عن الولاية والإمامة، التي تتمثل في الاستناد إلى البرهان، الذي سماه القرآن بالسلطان، وهو القرآن الكريم نفسه، وعدم الاستدلال بالسنة، كي لا يبقى لمتبعي مذهب الشيعة أي دليل ومجال للنقاش حول مصادر السنة وحجيتها. وأشار فيها أيضا إلى أساس التصورات والقيم الإسلامية المتمثلة في أن الله تعالى هو الخالق الآمر، فإلى ذلك ترجع- في نظره – كل تصورات المؤمن عن الله والكون والحياة والإنسان. ثم يذكر مصادر المعرفة الأساسية للإنسان، المذكورة في القرآن، وهي: السمع والبصر والفؤاد، يضاف إليها العلم والإرادة. وينهي المقدمة بإشارة وجيزة إلى مفهوم المشيئة الإلهية، وربطها بالاختيار البشري، وتعريف قرآني دقيق للإيمان والتقوى.

وفي الباب الأول من الكتاب- المخصص لموضوع الولاية- يشرح أنواع الولايات المذكورة في القرآن، لا سيما الولاية بين الله والمؤمنين، وولاية الملائكة للمؤمنين، وولاية المؤمنين بعضهم لبعض. ويوضح فيه أصناف المجتمع الإسلامي وشرائحه المشار إليها في (سورة التوبة)، بطريقة استقرائية، موضحا مصطلحي التطهير والتزكية المذكورين في القرآن، الأمر الذي أصبح مداراً للجدل بين الشيعة والسنة، فيما يتعلق بأهل البيت وعصمتهم وولايتهم.

وفي الباب الثاني من كتابه- المخصص لموضوع الإمامة- يتحدث عن الأحكام الثابتة والمتطورة، معرفا النبوة وشروطها، والرسالة وما تعنيه، والفرق بينها وبين النبوة، وشارحا معنى التبليغ المأمور به رسول الله صلوات الله عليه في آية: (أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ﴿المائدة/٦٧﴾ وهي الآية التي يستند إليها الشيعة في موضوع الإمامة، وكذلك آية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ﴿الأحزاب/ ٣٣﴾. ثم يتطرق بدقة علمية إلى موضوع الإمامة الدينية، والولاية الدينية، والشورى، والفرق بينها وبين التشاور أو المشاورة، وتعريف الفقيه، داحضا بدقّة علمية موضوع ولاية الفقيه.

وفي نهاية الباب الثاني يتحدث عن نظام الحكم الإسلامي، موضّحا الفرق بين مجلس الشورى (أو مجلس أولى الأمر) ومجلس النواب، وكيفية اختيار رئيس السلطة التنفيذية، وغير ذلك مما يتعلق بكيفية النظام الإسلامي وأسسه.

٢- زبدة كتاب الاعتصام:

هو الكتاب الثاني من سلسلة كتبه المطبوعة، طبع عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وهو كتاب نفيس ذو قيمة علمية. هو في الأساس تلخيص لكتاب الاعتصام للشاطبي، (٦) يتكون من ٨٠ صفحة من الحجم المتوسط، يعرض فيه المعنى الحقيقي اللغوي والاصطلاحي للبدعة، موضحا أحكام البدع الحقيقية والإضافية، والفرق بينهما.

وفي فصل مخصص يشرح أقسام البدع، ومجالات الابتداع، وجانبا من مصاديقها، لا سيما في الأمور العبادية. ثم يميط اللثام عن الغموض الناشئ حول الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان.

وينهي الرسالة بحديث ذي أهمية علمية، حول السبب الذي لأجله افترقت ملل وفرق المبتدعة عن جماعة المسلمين، شارحا المعنى الحقيقي لمصطلح (الصراط المستقيم)، المذكور في القرآن الكريم، والذي انحرفت عنه سبل المبتدعين المتعدين عن الهدى بعد البيان الإلهي..

٣- رسالة في علوم الحديث:

هذا هو الكتاب الثالث في السلسلة المطبوعة، وهو في الأصل رسالة توجيهية، بعثها الشهيد (سبحاني) عام١٩٨٧م إلى العلماء القائمين على أمر إعداد موسوعة السنة والسيرة النبوية في مركز بحوث السنة النبوية، (٧) طبع عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وهو كتاب صغير الحجم ولكنه عظيم الفحوى، قليل المبنى ولكنه كثير المعنى. ولقد ذكّر في مقدمته بأمور مهمة، منها: مظاهر الحياة المشكّلة للقوى الأساسية للمخلوقات، وهي: النموّ والتوليد، كمظهر للحياة النباتية، والإحساس والحركة، كمظهر للحياة الحيوانية، مضافا إليهما المظهران السابقان. والعلم والإرادة كمظهر للحياة الإنسانية، مضافا إليهما المظاهر الأربع السابقة. ويقصد (سبحاني) بذكر هذه الأمور، الإعانة على فهم التصورات، وطرق الوصول لتحديد أسس القيم والأحكام، التي ينحصر مصدرها في الوحي.

ثم يشرح منزلة الحديث النبوي والسنة النبوية، المتمثلة بتبيين القرآن الكريم. ثم يتحدث بإسهاب عن منزلة الحديث الشريف، ويشرح مصطلح (الحكمة)، التي يرى العلامة (سبحاني) أنها مجموعة الأحكام التفصيلية

التي تهدي إلى الصواب في تطبيق القواعد الكلية. ولهذا يرى رحمه الله أن البقاء على مقتضى حكم متطور، بعد تطور الظرف المتعلق به، اتخاذ لشرع لم يرضه الله، تماما كتبديل حكم مكان حكم ثابت!. ويأتي- لذكر أمثلة من الحكمة الثابتة- بآيات كثيرة من سور البقرة، والنساء، والمائدة، والتوبة، والإسراء، والمؤمنون، والنور، والفرقان، ولقمان، والأحزاب، والحجرات، والمجادلة، والطلاق. ثم يأتي- لذكر أمثلة من الحكمة المتطورة- بآيات من القرآن الكريم، ونماذج في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وحول ما يتعلق بعلم (علوم الحديث)- الذي هو جوهر رسالته- يبدي رأيا خاصا في شروط الراوي، حيث يرى- رغم إبداء إعجابه بعلماء الحديث في كثير مما فعلوا- أنهم لم يوفوا بحق عنصر(التلقي) لدى الرواة والناقلين، وهو الأساس الذي يستنبط منه مقصود المتكلم والكلام. وكذلك أضاف في شروط الراوي ضمن أسباب الجرح: مخالطة الراوي للسلاطين، ومجالستهم، لغير نية الإصلاح والنصح والتذكير. وله رأي خاص على مقولة متأخري أهل الحديث وغيرهم: أن رجال الشيخين- البخاري ومسلم- جازوا القنطرة. وله - كذلك - تعقيبات وإيضاحات حول أمور أثيرت في أوساط علماء الحديث، وأئمة الجرح والتعديل، كتعريف الصحابي، والتابعي، والقول بالعمل بشرع من قبلنا، وغير ذلك.

وباختصار، يلاحظ أي باحث أن له رحمه الله رأيا خاصا في جوانب من منهجية المفسرين والمحدثين والفقهاء، وعلماء العقائد والسلوك والتاريخ، في التعامل مع القرآن والروايات، حيث يرى ضرورة توقيف الاحتجاج بالأحاديث على النظر في أصولها من كتاب الله، كما يرى ضرورة اعتبار المعنى المشترك بين روايات مختلفة الألفاظ، متعددة الأسانيد، المروية في أمر واحد، ثم ردّ تلك المختلفات إلى ذلك المعنى، لاستخراج المدلول والمعنى المقصود في النهاية.

ولقد خص ختام رسالته بمناقشة مصاديق نموذجية في مجال: الرّقى، والتصاوير- بأشكالها المتنوعة- مبيّنا طريقة التعامل في معالجتها، لكونها من المسائل التي كثر الجدل حولها لدى العلماء، قديما وحديثا..

٤- تلخيص التهذيب:

وهو كتابه الرابع ضمن السلسلة المطبوعة، طبع عام١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، يتكون من٢٤٥ صفحة من القطع المتوسط، وهو تلخيص فريد لكتاب (مدارج السالكين) لابن القيم رحمه الله، فلقد كان الشهيد شديد الإعجاب بشخصية الإمام (ابن القيم)، ويعتبره من أئمة الهدى،.. وكان هدفه- في تلخيصه- تسهيل تناوله لراغبي الوصول إلى المنازل الإيمانية التي ذكرها ابن القيم في مدارجه، ولقد لخصها غاية التلخيص، بمنتهى الدقة والإحكام. " وكان له رحمه الله قناعة تامة بأن كتاب المدارج من أحسن كتب

التزكية والسلوك، ولهذا كان يستشهد بمحتوياته في كثير من محاضراته ودروسه، وكثيرا ما يطلب من أصدقائه وتلامذته كثرة الرجوع إليه"(٨)، رغم بعض ملاحظاته على الكتاب، لا سيما فيما يتعلق بالتوسعة في ترتيب المدارج والمنازل، والسائرين إليها. ولقد أشار العلامة (سبحاني)- ملخصا ما قاله ابن القيم- بأن سورة الفاتحة تتضمن المطالب الثمانية العالية: التعريف بالمعبود، وإثبات المعاد، وإثبات النبوة، وكيفية سؤال الهداية، وأنواع التوحيد، ومراتب الهداية، وشفاء القلوب والأبدان، والرد على المبطلين. كما يؤكد على أن سرّ عمليّتي: الخلق والأمر- في الكون- ينتهي إلى كلمتي (نعبد) و(نستعين). ثم بعد ذلك يقف عند منازل (اليقظة)، و(الفكرة)، و(البصيرة)، و(العزم)، كمنازل أساسية للعبودية، ثم يشرح بقية المنازل- التي هي٦٢منزلة - تبدأ بالمحاسبة، وتنتهي بالشهادة، وهي نهاية هجرة المؤمن إلى الله ورسوله، والتي تقوده إلى تكرار السّير والانعطاف نحو باب الهداية.

٥- أسس التصورات والقيم:

هو الكتاب الخامس من نتاجات (سبحاني) المطبوعة. طبع عام١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، وهو ١٢٢ صفحة من الحجم المتوسط. كتاب صغير الحجم، كثير المغزى، لخص فيه أهم أفكاره وتصوراته الفكرية. ولقد خص مقدمة الكتاب لذكر أن أساس التصورات والقيم الدينية معرفة أن الله له الخلق والأمر، سواء التصورات تجاه الله سبحانه والكون، أو تجاه الإنسان والحياة، وكذلك القيم التي جعلها الله موازين للمؤمن، يرجع إليها فيما يعرف وينكر. ويشرح في المقدمة- كذلك- أنواع القدرات المعطاة للمخلوقات جميعها. ولقد خص الفصل الأول من الكتاب لموضوع الشرك، فذكر ضلال الشرك وأنواعه، والشرك في الفاعلية، والشرك في شطر المعينية من الألوهية، موضحا معنى وكيفية التوكل الحقيقي.

وخص الفصل الثاني لبيان حقيقة الشفاعة، وما يتعلق بالآخرة من الشفاعة، وأنواع الشفاعات التي قال بها العلماء، ثم يعرّف مصطلحات (الصديقين) و(الشهداء) و(الصالحين)، موضحا حقيقة المشيئة الإلهية العامة، ومعنى اللّمم من الذنوب، وأصناف المشفوع فيهم.

وفي الفصل الثالث تطرّق لموضوع التوسّل، والمراد منه، والاستشفاع بالملائكة والنبيين والصالحين، فذكر أن عبادة الله هي الوسيلة المقرّبة إليه سبحانه، وذكر موضوع التوسّل بدعاء الصالحين في التقرب إلى الله، وكذلك التوسّل بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وفي الفصل الرابع تحدث عن الشرك في شطر المعبودية من الألوهية، ممهّدا لذلك بشرح وسائل المعرفة الأساسية لدى الإنسان لتلقي التصورات، وكذلك طريق تلقي القيم والأحكام، موضحا خطورة الشرك في شطر

المعبودية والحاكمية. ويتطرق- كذلك- في هذا الفصل لتفسير فريد من نوعه لسورة (الحمد)، موضحا حقيقة الإيمان، شارحا أصناف الذنوب- الكبائر منها واللّمم، وأصناف مرتكبيها-. كما ويعالج موضوع الموقف من الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله. ثم يشرح بطريقة علمية دقيقة أقسام الأحكام التي هي: الأحكام المحدودة المحصورة، والأحكام غير المحصورة، التي تشملها القواعد الكلية.

ويشرح في هذا الفصل- الذي هو من أهم فصول الكتاب- مقامات الرسول الثلاث: ١- النبوة ٢- الرسالة ٣- الإمامة. وكذلك يوضح منزلة الشورى، أثناء تطرّقه لموضوع استنباط الأحكام، مشيرا إلى الاستنباطات المنفردة في حالة الاضطرار، مؤكداً على أن الاستبداد بالرأي والانفراد به مرفوض في القرآن، وأن الشورى ملزمة- في رأيه- وليست معلمة، كما يوضح كيفية الشورى في الإسلام، حيث استنبط من آيات قرآنية بأن مجلس الشورى في الحكم الإسلامي يتكون من لجان تخصصّية في مختلف قطاعات الحياة، وأن الخليفة أو الرئيس في الدولة عضو في مجلس الشورى، وليس له حق النقض.

٦- أحكام شرعية وجملة فتاوى:

هو الكتاب السادس من السلسلة المطبوعة، طبع عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، يتكون من٩٢ صفحة، يعتبر مكملا للكتاب السابق، حيث طبق القواعد التي ارتأها على بعض الأمور، فتحدث في ست فصول عن سلك (الجندية)- في ظل أنظمة غير إسلامية، وأحكام الإمامة في الصلاة، وأحكام التصاوير والتماثيل، والرّقى، والتمائم والودَعَ والتِوَلَة، والعين.. فيرى الشهيد أن الالتزام بسلك الجندية- في ظل نظام غير إسلامي- من أعظم المؤيدات لأنظمة حكم الجاهلية، ويعالج الحكم بالنسبة للمضطرين الذين لا يجدون حيلة ولا سبيلا، فيضطرون للانضمام الإجباري.

ويوضح في الفصل الثاني حقيقة الإمامة، وشروطها، ومفهوم الإمامة العظمى. وفي ذلك ينتقد منهجية بعض الفقهاء في تجويز إمامة الفاسق، والصلاة خلف الفاجر، والتعامل مع الولاة، وإن كانوا فاسقين.

وفي الفصل الثالث- المخصص لموضوع التصوير- يلقي ضوءا على قاعدة (شرع من قبلنا)، منتقدا بعض المناهج في التعامل مع هذه القاعدة، فيقسم شريعة الله إلى (التصورات) و(القيم)، مبينا- في الفصل ذاته- أصول النظام السياسي والاقتصادي في الإسلام.

وفي الفصل الرابع يستقرئ الأحاديث الصحيحة، المتعلقة بالرقية بكتاب الله، وقول العلماء في شروطها، فيؤكد أن كل فعل لا يقع إلا بأمرين: أولا: إرادة من الله سبحانه، ثانيا: سبب يناسبه. ثم يشرح منهجية معرفة

كون شيء ما سببا، فيؤكد أن هذا يتحقق إما بالوحي، أو بالتجربة المتكررة.

وفي الفصل الخامس يعالج ما يتعلق بالتمائم والودع والتِوَلة، ومسألة أخذ الأجر على الرقية، وصنع التمائم، ويؤكد أنه لا أصل للتمائم والودع والتولة للاستشفاء، إلا أنه يجوز الرقية بكلام الله، كما يجوز أخذ الأجرة على الرقية الشرعية.

وخص الأستاذ الشهيد الفصل السادس والأخير من كتابه لموضوع تأثير العين وحقيقتها، وما ورد بحقها، وأقوال علماء السلف فيها.

٧- الابتداع في الدين:

هو الكتاب السابع من سلسلة نتاجاته العربية المطبوعة، طبع عام١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، يتكون من٨٠ صفحة، يعتبر مكملا للكتابين السابقين (أسس التصورات والقيم) و(الأحكام الشرعية)، وهو يتكون من أربعة فصول، يتحدث في الأول منها عن حقيقة الدين ومكوناته، مع إلقاء ضوء على الأحاديث المتحدثة عن الابتداع، وأقوال بعض العلماء فيها، مع شرح لمفهوم البدعة التركية. وفي الفصل الثاني، يتحدث عن ذم البدع، وبيان سوء منقلب أصحابها، وأن ذم البدع والمحدثات عام لا يخص جانبا دون جانب. وفي الفصل الثالث، يعرّف البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية، والفرق بينهما، مع ذكر أمثلة من البدع الإضافية. ويخصص الفصل الرابع لذكر الفرق بين الابتداع واعتبار المصالح المرسلة والاستحسان، والمجالات التي قد يحدث فيها الإحداث في الشريعة، مع عرض أمثلة من البدع المستحدثة.

وعرض في ثنايا فصول ومقاطع الكتاب أفكارا قيمة، كتقسيم مسائل الدين إلى:

ا- التصورات تجاه الله سبحانه والكون والإنسان.

ب- القيم والأحكام، وقسمها- هي الأخرى- إلى نوعين: جزئيات محصورة مذكورة تفصيلا، وكليات غير محصورة، وردت بحقها قواعد كلية.

وينتقد في هذا الكتاب تقسيم بعض العلماء ما يتعلق بالبدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة، قائلاً: "... إن هذا مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو نفسه متدافع، لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي- لا من نصوص الشرع، ولا من قواعده- إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوبٍ أو ندبٍ أو إباحةٍ، لما كان ثمة بدعة، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها، أو المخيّر فيها."[9] □

العلاقة بين الأستاذ والطالب في الحضارة الإسلامية

(2-1)

الدكتور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم

كلية الآداب/ جامعة الموصل



لعل من بين القضايا الأساسية، التي تشغل حيزاً مهماً من حياتنا الأكاديمية المعاصرة، هي بلورة علاقة سليمة بين الأستاذ والطالب، سواء أكان هذا الطالب في مراحل الدراسة الأولية، أو العليا، فغالباً ما نلمح شعوراً بالامتعاض أو الاستياء أو حتى الاستهجان لسلوكيات تبدر من هذا الطرف أو ذاك. ولطالما تتكرر إلى مسامعنا تعليقات أحد التدريسيين من الجحود، أو الإخلال بالسلوك القويم، التي تبدر من طرف طلبته، أو ممن كانوا يوماً طلبة له. وبالمقابل تدور دائماً أحاديث في صفوف الطلبة عن قسوة هذا الأستاذ أو تكبر آخر، إلى نحو ذلك من الأحاديث التي تتكرر أمامنا يومياً.

ولعل جانباً كبيراً مما سبق يعود إلى غياب، أو ضعف، التقاليد العلمية في الحقل الأكاديمي، فيسلك الأستاذ أو الطالب سلوكيات من وحي اجتهادهما الشخصي، أو ما ألفوا عليه آباءهم أو إخوانهم أو حتى أساتذتهم السابقين.

وفي واقع الأمر إن (جامعة بغداد) هي من الجامعات الناشئة مقارنة بالجامعات العالمية العريقة، إذ لم يكد يتجاوز عمر أقدم كلياتها نصف قرن من الزمن. وبالكاد غادر الرعيل الأول من مؤسسي الجامعة مقاعدهم التدريسية، وبعضهم ما يزال يرفد الحياة العلمية في الجامعة بعطائه. بمعنى أن الجامعة لم تحقق تراكماً معرفياً وسلوكياً تقادم عليه العهد، فأصبح عرفاً ثابتاً يصطبغ به سلوك تدريسيها، وبالتالي يبسط مفاهيمه على طلبتها.

فالجيل الأول، تأثر بالتقاليد التي تلقاها في الجامعات التي نال بها شهادته، سواء أكانت جامعات أجنبية أو عربية، وسعى إلى تطبيق تلك التقاليد عندما دشن التدريس للمرة الأولى، على الرغم من أن هذه التقاليد، بطبيعة الحال، تنتمي إلى جامعات أخرى، وبلدان أخرى، لديها تقاليدها ومفاهيمها الخاصة بها، والتي هي ليست بالضرورة تقاليدنا ومفاهيمنا التي درج عليها مجتمعنا. وسار الجيل التالي على التقاليد التي سلكها الجيل الأول، منصاعاً، أو مكرهاً، لا سيما وأن الجيل الأول قد بقي شاهداً على تطبيق الجيل الثاني لها.

ومن جهة أخرى، فإن الطلبة الذين وفدوا إلى (جامعة بغداد) كانوا متباينين في خلفياتهم الاجتماعية والفكرية والاقتصادية. ولم يكن ثمة صلة لأغلبهم بالحياة الجامعية وأعرافها، وبدا السلوك الاجتماعي والأكاديمي غريباً على الكثير منهم، فتقبلوه أو لم يفعلوا، وبين التقبل والرفض حدثت وتحدث التوترات.

لكن من المهم أن نقف أمام حقيقة مهمة، ألا وهي أن التقاليد الأكاديمية الغربية قد نبعت وصيغت لتلائم البيئة والمجتمع الغربي، وليس من المنطقي أن نزرع هذه التقاليد في بيئتنا، إذا قررنا أن نبقى محتفظين بقيم مجتمعنا الشرقي الإسلامي!

إن مجتمعنا الإسلامي له قيمه الخاصة، ويجدر أن نتمعن في إمكانية بلورة قيم أكاديمية تصدر عن هذا المجتمع، وتكون معبرة عنه، فلا يشعر لا الأستاذ ولا الطالب باغتراب اجتماعي وفكري، في جامعته هو، وفي سلوكياته الأكاديمية.

ويمكن الرجوع إلى التقاليد الأكاديمية الإسلامية العريقة لاستنباط السلوكيات المعبرة عن روح المجتمع وتقاليده وأعرافه، لا سيما وأن التقاليد الأكاديمية الإسلامية تطوي

في عراقتها بمراحل التقاليد الأكاديمية الغربية، إذ يكفي أن نشير إلى أن النظام التعليمي الاحترافي الإسلامي يمتد بجذوره إلى نحو ألف سنة، منذ النشأة الأولى للمدارس في منتصف القرن الخامس الميلادي، والذي تواصل حتى تاريخ قريب. وإن نظام المدارس، التي هي بمثابة التعليم العالي الإسلامي، قد رسخ تقاليد أكاديمية تعبر عن المجتمع الذي صدرت عنه، وعن طبيعة المعرفة بمنظورها الإسلامي السليم. ثم تطور الأمر من تدريس العلوم، صوب التنظير العلمي والبحث في طرائق التعلم ووسائله وآلياته وأهدافه، والانتقال صوب ما يعرف بالابستمولوجيا. وكان للعلاقة بين الأستاذ والطالب حيزها من اهتمام القائمين على المعرفة الإسلامية على المستوى الجامعي بالمفهوم المعاصر.

ويجدر بنا، ونحن نبحث في أخلاقيات البحث العلمي، وهو موضوع في غاية الأهمية والخطورة، أن نتوقف عند التراث الأكاديمي الإسلامي الذي تناول هذه العلاقة، وهو تراث غزير، وجدير بأن يبعث ويحتذى به، لأنه – قبل كل شيء – نابع من تقاليد وأعراف وقيم ما تزال تفعل فعلها المؤثر في صلب حياتنا المعاصرة، وإن هجر هذه القيم هو أساس الاضطراب الذي يعيشه المسلم المعاصر، ولا سيما المثقف والأكاديمي، عندما يتمزق بين عقيدة يؤمن بها وتقاليد متوارثة، وبين السلوك الذي يعايشه، والفكر والعلم الذي يدرُسه ويُدرّسه في أروقة الجامعة.

الإمام بدر الدين بن جماعة المفكر التعليمي

بين أيدينا في التراث الإسلامي عدد من المؤلفات التي تتناول الفكر التعليمي، من أهمها كتاب الإمام (بدر الدين بن جماعة)، أشهر فقهاء العصر المملوكي، الموسوم: "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم".

ولد (ابن جماعة) في (حماة) عام ٦٣٩هـ وتوفي بمصر عام ٧٣٣هـ، بمعنى أنه عاش قرابة ٩٤ عاماً، شهد فيها أحداثا جساما، أبرزها الغزو المغولي للبلاد الإسلامية، وما أحدثه من دمار، وقيام دولة المماليك التي ارتقى فيها (ابن جماعة) منزلة كبيرة لدى سلاطينها في المكانة العلمية والوظيفية.

لقد كتب (ابن جماعة) العشرات من المؤلفات، لكن يبقى تناوله لموضوع التعليم ذي أهمية كبرى، لأنه يستعرض فيه الجوانب المختلفة للسلوكيات المتعلقة بالعملية التعليمية، مما يجعل الكتاب بحق نقطة مضيئة في تناول موضوع أخلاقيات البحث العلمي الإسلامي. لكننا سنقتصر على تناول ما يخص العلاقة بين العالم والطالب، من منظور العالم، ومن ثم من منظور الطالب. ويجدر التنبيه إلى أنه إذا كان العلم المقصود في الغالب هو

العلوم الشرعية من فقه وحديث، فإن كون الإسلام ديناً ودنيا، وأن الله (سبحانه وتعالى) قد بعث نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) لما فيه صلاح ديننا ودنيانا، فالتدريس وطلب العلم، سواء تعلق بأمور الدنيا أو الآخرة، فهو يدخل ضمن حياة المسلم وأفعاله التي جاء الإسلام لإصلاحها، وفرض فيها الأجر والحساب لما نعمل، فكل نفس بما كسبت رهينة، وإنما تجزون ما كنتم تعملون.

واجبات الأستاذ تجاه علمه وتجاه طلبته

قلنا إن الإمام (ابن جماعة) قد تناول جوانب مختلفة من العملية التعليمية، ومن بين الجوانب المهمة التي ركز عليها هي صفات العالم أو الأستاذ، من وجهة نظر الإسلام، وتتمثل بـ:

١- أن يكون طلبه العلم لوجه الله (سبحانه وتعالى) وليس لغرض دنيوي بحت، ويستشهد (ابن جماعة) بأحاديث للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنها:

لقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يكاثر به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار". أخرجه الترمذي.

وعنه (صلى الله عليه وسلم): "من تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير وجه الله، فليتبوأ مقعده من النار". رواه الترمذي.

٢- معرفة أن الله قد أهّله منصب العالم ليحمله أمانة واختباراً لأفعاله، فإنه أمين على ما أودع من العلوم، وما منح من الحواس والأفهام، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿الأنفال:٢٧﴾.

٣- إن جانباً من تحمل الأمانة هو صيانة علمه من الابتذال، وإبراز مكانة هذا العلم، وعدم الانتقاص من قيمته، عندما يتخذه وسيلة للتقرب إلى أهل السلطان والمناصب، أو يداهنهم ويتملق لهم.

٤- أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة، ويعمره بالأخلاق المرضية، فيبتعد عن الغل والحسد والبغي والغضب لغير الله تعالى والغش والكبر والرياء والعجب والبخل والخبث والبطر والطمع والفخر والخيلاء والتنافس في الدنيا والمباهاة بها والمداهنة والتزين للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحمية والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغير الله، والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والفحش في القول، واحتقار الناس، ولو كانوا دونه، فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة، فإنها باب كل شر، بل هي الشر كله.

هذه هي صفات العالم، التي يجب أن

يحرص على أن تكون متصلة به، إكراماً لنفسه وحباً لأن يزينها بهذه الصفات. وقد يحتج البعض بأن الأستاذ بشر، ومن حقه أن يكون مثل بقية البشر في صفاته الدنيوية، فالرد على ذلك هو أن العالم لا يمثل نفسه فقط، وإنما يمثل علمه الذي يحمله، فاختياره طريق العلم حمّله مسؤولية خطيرة، لأن اسمه وشخصه أصبحا مقترنين بمنظور معين، عليه أن يجهد نفسه لكي يبقى متمسكاً به. ومن جانب آخر إنه أمام أنظار طلبته، وأي مسلك ينال من صورته لديهم، لن يهز صورته هو، وإنما صورة العلم الذي يحمل مسؤولية إيصاله للطلبة.

٥- إذا توجه إلى المحاضرة تطهر وتنظف وتطيب، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه، قاصداً بذلك تعظيم العلم.

٦- تواجه الأستاذ أنماط مختلفة من الطلبة، فمنهم من جاء من بيئة لا توقر العلم، وعيناه ترنوان إلى الدنيا، ومنهم من لم يعتد على المواظبة والدرس، ومنهم من لم يعرف كيف يوقر العلماء. فبالنسبة للصنف الأول، يقع واجب كبير على الأستاذ أن ينمي في طلبته البعد الروحي والقيمي والديني لطلب العلم، وتوجيههم تدريجياً لخير الدنيا والآخرة، بأن يرغبهم في العلم وطلبه في أكثر الأوقات، بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات، وأنهم ورثة الأنبياء، وأن طريق العلم سيكسب صاحبه المنزلة والمهابة التي يسبغها المولى (جل وعلا) على من يجعل نيته خالصة لوجهه.

أما الصنف الثاني، الذي لم يألف المواظبة على الدرس، فمهمة الأستاذ أن يرغبه بذلك تدريجياً، وأن يعد الطالب ليكون على غراره، فليحب لطالبه ما أحبه لنفسه، كما جاء في الحديث، ويكره له ما يكره لنفسه.

أما فيما يخص تدريب الطالب سلوكياً، فينبغي على الأستاذ أن يعتني بمصالح الطالب، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده، من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه، والصبر على جفاءٍ ربما وقع منه، ونقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان. ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف، لا بتعنيف وتعسف، قاصداً بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه، فإن عرف الطالب ذلك بالإشارة، فلا حاجة إلى صريح العبارة، وإن لم يفهم ذلك إلا بصريحها أتى العالم بها، وراعى التدريج في التلطف. ويؤدبه بالآداب السنية، ويحرضه على الأخلاق المرضية، ويوصيه بالأمور العرفية، على الأوضاع الشرعية.

٧- أما فيما يخص الناحية العلمية، فينبغي على الأستاذ أن لا يحمّل الطالب فوق طاقته، فلا يلقي له من العلوم ما لم يكن مهيأ

لذلك، ويتبع التدريج في إفهامه إياها. وأن يحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى بما يحتمله ذهنه، ويتوسع عليه في الشرح، فلا يضبط حفظه. ويوضح المادة العلمية، ويعيد الشرح ويكرره بعبارة حسنة الأداء، بعيدة عن تنقيص أحد من زملائه من الأساتذة، ودون تعريض بضعف إمكانيات الطالب، وعجزه عن الاستيعاب.

٨- إذا فرغ الأستاذ من شرح درس، فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة، يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح، فمن رآه مصيباً في الجواب شكره وأثنى عليه بين أصحابه، ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب العلم، ومن رآه مقصراً، حرضه على علو الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم، لا سيما إن كان ممن يزيده التعنيف نشاطاً، والشكر انبساطاً، ويعيد ما يقتضي الحال إعادته، ليفهمه الطالب فهماً راسخاً.

٩ – أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض في مودة أو اعتناء، مع تساويهم في الصفات من سن أو فضيلة أو تحصيل أو ديانة، فإن ذلك ربما يثير في نفوس الطلبة الوحشة منه وينفرهم عنه، فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً وأشد اجتهاداً أو أحسن أدباً، أظهر إكرامه وتفضيله، وبين سبب زيادة الإكرام، فهذا ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات.

١٠- ومما يثيره (ابن جماعة) أن الأستاذ ينبغي أن يتودد لحاضرهم، ويذكر غائبهم بخير وحسن ثناء، وينبغي أن يستعلم أسماءهم وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم، ويكثر الدعاء لهم بالصلاح.

١١- وكذلك أن يراقب سلوكيات الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطناً وظاهراً، فمن صدر منه من ذلك ما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه ، نبهه إليه سراً، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهراً، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال، لينزجر هو وغيره ويتأدب به كل سامع، فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، ولا سيما إذا خاف على بعض رفقائه وأصحابه من الطلبة موافقته.

١٢- وكذلك يشجع الطلبة على حسن السلوك فيما بينهم: من إفشاء السلام، وحسن التخاطب في الكلام، والتحابب، والتعاون على البر والتقوى. وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى، يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس، لتكمل لهم فضيلة الحالتين.

١٢- أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسر عليه من جاه ومال، عند قدرته على ذلك، وسلامة دينه. وإذا غاب بعض الطلبة، بما هو غير مألوف،

سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه، أو قصد منزله بنفسه، وهو أفضل. فإن كان مريضًا عاده، وإن كان في غم خفض عليه، وإن كان مسافرًا تفقد أهله، ومن يتعلق به، وسأل عنهم، وتعرض لحوائجهم، ووصلهم بما أمكن، وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه، وإن لم يكن شيء من ذلك تودد عليه ودعا له.

ومن أجمل ما قاله (ابن جماعة) في موقف الأستاذ من الطالب: **"واعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه وأقرب أهله إليه."**

ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم، ومن بعدهم، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى، فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

ومن الصفات المهمة التي نبه إليها (ابن جماعة) صفة التواضع مع الطالب، وكل من يسأله من علمه. ويضرب لنا من خطاب الله سبحانه وتعالى للنبي، وهو أشرف الخلق، بقوله تعالى لنبيه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥)،

وينبغي أن يخاطب الطلاب، ولا سيما الفاضل المتميز، بكنية ونحوها من أحب الأسماء إليه، وما فيه تعظيم له وتوقير، فعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكني أصحابه إكرامًا لهم. وكذلك ينبغي أن يترحب بالطلبة إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه، ويكرمهم إذا جلسوا إليه، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم، وأحوال من يتعلق بهم، بعد رد سلامهم، وليعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحسن المودة وإعلام المحبة وإضمار الشفقة، لأن ذلك أشرح لصدره وأطلق لوجهه وأبسط لسؤاله، ويزيد في ذلك لمن يرجى فلاحه ويظهر صلاحه، وبالجملة فهم وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

وبعد ذلك كله ليراجع كل منا سلوكه ليرى كم من هذه الصفات قد وقرت في نفسه، وطبعت في سلوكه، وليعرف أنها طريق الإسلام الحق، وأنها تقاليد علمائنا العظام، وهي أحق أن تتبع من أي تقليد تلقيناه في بلاد الغرب، أو بلاد الشرق□

فقه هبة الأبناء



عبد الباقي يوسف abdalbakiuosf@gmail.com

منزلة الأبوين رفيعة وعزيزة في القرآن الكريم، حتى أن الله بعزته وجلاله قد أوصى بهما بشكل مباشر وواضح لا يحتاج إلى تفسير أهل الفقه وعلوم التفسير، إنها وصية الله للأبناء.

يمكننا ملاحظة أن القرآن الكريم كان أول كتاب يتحدث عن جوهر العلاقة بين الآباء والأبناء، والتعرف من خلاله على ملامح الطفولة، ومزايا الأبوة.

بعد ذلك جاءت الأحاديث النبوية، وجاءت السنة الشريفة، في التعامل مع الأطفال، ثم جاءت مواقف الصحابة، ثم اجتهادات وكتابات أئمة الفقه.

لذلك فإن تربية الطفل لا تكون مكتملة إذا خلت من قراءة الطفل في القرآن، وفي أحاديث النبي "صلى الله عليه وسلم"، ثم في التراث الفقهي الإسلامي.

لقد أوصى الإسلام بأهمية وضرورة تعليم وتربية وتثقيف الطفل، وكان ذلك الركيزة الأساسية التي دفعت مجتمعاتنا نحو الانفتاح على عالم أدب الطفولة.

هبة خالصة من الله

الطفل هو بشارة من الله للإنسان، إذا تمعّن الإنسان جيداً في معنى الولادة، ولذلك نرى الله يبشر الإنسان قائلاً: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾ مريم/ ٧.

وكذلك تقدم الملائكة البشارة بالولادة لأبي الأنبياء إبراهيم "عليه السلام" بولده إسحق: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ قَالُواْ لاَ

تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ الحجر/ ٥١، ٥٢، ٥٣.

والأبناء يزيّنون الحياة أمام الإنسان، فيرى زينة الحياة من خلالهم.

يقول الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ الكهف/ ٤٦، ويقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ آل عمران/ ١٤.

والابن هو قرة العين، وهو الكائن البشري الأقرب إلى أبويه، وقد بيّن القرآن مشاعر الأمومة في الكثير من الآيات، ومن ذلك ما جاء في سورة ﴿القصص﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿١٤﴾.

البشارة بطبيعتها تكون لوقوع حدث سعيد نفيس، هذا الحدث الذي يُفرح الإنسان المُبشَّر، ويحدث نقلة نوعية في مسار حياته.

البشارة في جميع مستوياتها هي سماعك عن وقوع حدث سار يبلغك به شخص ما لأول مرة، ولذلك فإن الناس يزفون إلى بعضهم البعض البشارة بالولادة، والمبشِّر الأول يحظى بهدية ثمينة من الأب، أو من الأم، أو من المقرّبين، كالعم والخال وما شابه.

ونظراً لمنزلة البشارة اشتق منها الناس أسماء مثل: بشارة، بشار، بشير، بشرى، بشيرة، بشر، بشور.

إن الذي يسارع كي يبشرك بنبأ سعيد يخصك، هو شخص محب لك، ولذلك يهمه أن يكون الأول والأسرع في

إيصال هذا النبأ السار والنفيس إليك، وهو يشاركك حبورك، ويشعر بانتشاء وأنت تتلقى من فمه هذا النبأ، وتقدم امتنانك وشكرك العميق له، ولا تتردد من مكافأته نظير البشارة التي قدمها إليك.

مهما بلغ الإنسان من مال وجاه ومجد، فإنه يشعر بنقص إن لم يكن له ولد تقر به عينه، وتتزين به حياته، وفي ذروة مشاق التربية فإننا نشعر بمتعة النظر إلى أطفالنا، بمتعة النظر وهم يضحكون، ويتمازحون، ولذلك نرى الناس يبذلون ما بوسعهم في سبيل إنجاب ولد.

الولد الصالح هو الظفر الكبير في الحياة، وهو حامل رسالة أبوَيه، ومحطة الأبوة، أو الأمومة، هي المحطة الانتقالية التحولية الكبرى في حياة الإنسان، ولذلك يفضّل الإنسان أن يخسر أي شيء على أن يخسر ولده، وحتى النبي "صلى الله عليه وسلم" يحزن لخسارة ولده، وهو يقول: "وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون".

إن ولادة طفل هو فتح باب جديد من أبواب الحياة أمام أبويه، الطفل هو كائن جديد يفتح عينيه لأول وهلة على الحياة في كنف أبويه، وهما عندما ينظران إليه، فإنهما يشتمان منه رائحة الماضي، ماضيهما عندما كانا طفلين، ورائحة المستقبل، مستقبله وهو يصبح مثلهما، يتزوّج وينجب لهما حفدة كما أنجبا لأبويهما حفدة.

الطفل هو هبة من الله، والهبة تُعطى للإنسان بدون مقابل، وهي تختلف عن الرزق، فالله يرزق بالمال وغير ذلك، وعندما يأتي ذكر الولد، فإن الهبة تُذكر، وذلك حتى يميز الإنسان بين الإنسان كقيمة، وبين ما يملك من أرزاق يسوقها الله إليه.

يقول الله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ الشورى/ ٤٩.

ويقول: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ الفرقان/ ٧٤.

وعندما يشكر الإنسان ربه على الأبناء، يذكر الهبة، كما في حمد إبراهيم "عليه السلام" لربه قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إبراهيم/ ٣٩.

وقد ورد الأبناء في الكثير من آيات القرآن، ومن ذلك قول الله "عز وجل": ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة/ ٤٩، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة/ ١٤٦، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران/ ٦١، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام/ ٢٠، ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ الأحزاب/ ٥٥.

إن الطفل هو إنسان جديد يهبه الله للإنسان، سواء سأل الإنسان ربه هذه الهبة، أو لم يسأل، ذلك أن الله يهب لمن يسأله، ويهب لمن لا يسأله، ومن أسمائه الحسنى "الوهاب".

الهبة هنا تتمتع بخصوصية أعلى درجة من الرزق، إنها تتميز بالديمومة أكثر من الرزق، والولادة هي التي تحافظ على النسل البشري، والولد هو خلف أبيه، وهو الذي ينجب له الحفدة، ويجعله جداً.

نعمة الأبوة

عندما يحظى الإنسان بنعمة الأبوة، أو الأمومة، فإنه يحظى بأثمن ما يمكن أن يحرّك مشاعره في الحياة، وليس ثمة أعز أو أنفس من الإنسان، يحظى الإنسان هنا بإنسان ليكون خليفته، هذا الإنسان الذي ليس بوسع الإنسان أن يأتي به مهما بلغ من مال وجاه ونفوذ، ولكن الله إذا شاء، فإنه يهب للإنسان الأبناء.

إننا نتعرف على معالم الطفولة سواء من خلال ما نقرأ، أو من خلال تعايشنا اليومي مع أطفالنا، وكل قراءة تعزز لدينا معرفة عالم الطفولة، كما أن كل طفل يعلمنا ما لم يعلّمه لنا الذي قبله.

إن صفة الهبة في هذا المقام تضفي هالة من السمو إلى كينونة الطفل، وتجعل الأبوين يشعران بأن الله ﴿عز وجل﴾ أعزّهما وأكرمهما وخصهما بهذه الهبة الثمينة، التي حُرم منها كثير من الناس.

لذلك نرى الأم تحجب مولودها عن عيون المباركين، وتحرص ألاّ تقع عليه عين غريبة، وألاّ تُخرجه من البيت خلال أربعين يوماً الأولى من ولادته.

تضع مصحفاً صغير الحجم بجانب

وسادته الصغيرة، تعلّق بثوبه حجاباً وخرزة زرقاء عليها رسم عين، كي ترد النظرة الحاسدة، بحسب ما تعتقد الأم، إلى جانب حرقها الحرمل ونشر الدخان في البيت، وبعض الأعشاب والبخور، وفقع مادة الرصاص في الماء، وتلبث تقرأ له المعوذات وبعض الآيات التي تدفع عنه العين الحاسدة، وهي في حالة قلق عليه، حتى يشتدّ عوده، وينتصب واقفاً على قدميه.

لذلك فإن الله بعزّته وجلال قدره يبشر الإنسان بالطفل، والطفل هو بشارة من الله إلى الإنسان، وعندما يشاء الله ﴿جلّ جلاله﴾ أن يرزق الأبوين طفلاً، فإنه بعزّته وجلاله يبشرهما بقدوم هذا الطفل، لأن ذلك حدث سعيد بكل المقاييس، وحتى عندما تذهب المرأة لإجراء تحليل التفاعل الحملي، فإن الطبيب المخبري يكتب كلمة "إيجابي"، إذا كانت المرأة حاملاً، ويكتب كلمة "سلبي"، إن لم يكن بها حمل، يكتب هذا وفق القاعدة العامة، وربما أدت كلمة "إيجابي" إلى إلحاق أذى بالمرأة في بعض الحالات، وسبّب الحمل لها كارثة، بسبب مرض يحظر عليها الحمل، إلا أن الحمل بكل المقاييس هو عمل خير.

يقول هارون بن علي بن يحيى المنجم:

أرى ابني تشابه من علي
من يحيى وذلك به خليق
وإن يشبهها خُلُقاً وخَلقاً
فقد تسرى إلى الشبه العروق

ويقول الحسن بن زيد العلوي:

قالوا عقيم ولم يولد له ولدٌ
والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته
عاف النساء ولم يكثر له عدد

الولد هو فلذة الكبد التي تمشي على الأرض، يحرص الإنسان كل الحرص على أن يقدم أولاداً نافعين للمجتمع، فنرى ألوان العناية والاهتمام بهم، خاصة في سنوات الطفولة، حيث تُروى لهم القصص والحكايات الهادفة، وفي سنوات التمكن من القراءة يحضر الآباء لهم القصص والسير، بحسب المراحل التي يدخلونها، لأن الطفل وإن كان يحمل السمات الوراثية بنسبة قد تبلغ ستين بالمئة، إلا أنه يكتسب ملامح شخصيته من خلال الواقع الذي يعيش فيه، هذا الواقع الذي يؤثر في تكوين شخصيته□

مدخل إلى قراءة في الإشكالية الحضارية

(٢-٢)



أ.محمد رشدي عبيد

كيف نرفع سقفنا الحضاري؟

من آليات البناء الحضاري قانون الحراك الثقافي لتوعية الجمهور، وجعل المجال مفتوحاً أمام الحضارات للتداول، فعلينا أن لا ننظر إلى الحضارات الأخرى نظرة أحادية تبسيطية اختزالية رافضة، ولا نركز على الجانب السلبيّ أو التاريخي فيها، بل نتفاعل معها ونتثاقف بروية دون أن نفقد رؤيتنا.. وذلك يوحي بالحراك والتجدُّد والأمل، كما يشير (د.عماد الدين خليل) المختص في فلسفة التاريخ.. فلا بُدَّ من التفتح على أسباب الصعود الحضاري، وعدم التماهي مع الحزن والوهن والرتابة والدوغماتية.. كما لا بُدَّ من شحذ الإرادة، التي بالغ الجبريون في سحقها لتفسيراتهم الظاهرية لآيات المشيئة، فالإنسان كلما كان ذا إرادة أقوى، وإيمان أعمق، وإبداع أشد تركيزاً، أتيح له السفر إلى منطقة أبعد لاكتشافِ مزيدٍ من المجاهل في الطبيعة والعالم والبشر.. كما أشار الدكتور (هاشم الملاح) في كتابه (فلسفة التاريخ) إلى ضرورة تبين العوامل العديدة لصنع التاريخ والحضارة، ودراسة الفلسفات التاريخية التي تؤثر في صياغتها، لكي نتثبت في القبول الحضاري.. ولا نتجاهل دور كل عامل في صناعتها، بشرط أن نستفيد منه بما يلتئم مع منظومتنا الأخلاقية والكونية.. ولقد حرمنا أنفسنا من ملاحقة تطورات عديدة، فلا بُدَّ من تدارك ذلك مع إثبات خصوصيتنا، كما يقول صاحب كتاب (الحضارة فكرة وتاريخ)..

إن الاكتفاءَ بإعادةِ إنتاج الثقافة التقليدية، التي فرّعت فروعاً كثيرة، ووضعت احتمالاتٍ عديدةً لحلِّ إشكاليات مجتمعات المسلمين – التي كانت تجارية محدودة، شعبية لا نخبوية في مواجهة التحديات الراهنة، والبيئات الثقافية بحقولها المتعدِّدة – بالتحليل والتنظير الكافيين، والتهوين من دور المنهج العقلي في التأصيل والتنظير: التأصيل الفكري والديني.. وعدم مواجهة أسئلة الحداثة، وما بعدها، وترك اتجاهاتها دون تحليل ونقد كافيين، ودون تقديم البدائل المتماسكة الجذابة، وعدم دراسة تراثنا دراسة موضوعية، لوضع الاتجاهات الناقدة له موضع الموازنة والتقويم، ما زال يبطيء من سيرنا نحو آفاق التقدُّم الحضاري..

كما أن ترك موضوع البناء النفسي للفرد لا يوصل إلى تكوين إنسان نقي دؤوب يتقبله الآخر، فأسلوب التعليم الوضعي يحرم الإنسانية من الثقة بالآخر والتواصُل معه، ومن ثم من الثراء والتبصر والتعارف.. وهكذا يتأصّل التخلّف، وتكون المراوغات عن المنهج، ويلجأ البعض إما إلى التزييف أو العنف للوصُول إلى أهدافهم وتبليغ أفكارهم..

ونؤكّد مُجدداً أن لمعجمنا الحضاري مفردات لم تفعّل بالدرجة المطلوبة في كُلِّ شيء، من التقنية إلى الجماليات، إلى الطرز المعمارية، التي تؤطّر خصوصيات العائلة وقيمها، فالحضارة الغربية في بدء حداثتها لجأت إلى وضع معجمية لتطورها الذوقي والجمالي بدءاً من طلي الجدران بالألوان، إلى الموسيقى وروحها، إلى الصالون الأدبي، إلى تفعيل نظرتها إلى الذكاء والرقة واللباقة وضبط الفكر.. فعلينا أن لا نظل هاجرين لمعجمنا، وأن نتبين ماذا علينا أن نطور ونحضر؟ وذلك من مسؤولية المفكرين والأكاديميين وعلماء الجمال والأخلاق الحضارية.. كما علينا أن نستعيد خصوصيتنا.. وقد نبَّه د.المسيري في كتابه "رحلتي الفكرية" إلى إشكاليات حضارية رصدها في معايشته في المهجر متمثلة في التحيزات أو الأهواء، التحيُّز للمادي على حساب الإنساني، وللمحسوس والمحدود على حساب المطلق، وللمعايير الدقيقة الوصفية على حساب المجاز والمقارب...

وهناك ملاحظات لا بُدَّ من تأصيلها، فالمعيار الحضاري لكلِّ حِراك اجتماعي، ونشاط فكري، وتوجهات نحو الآخر، وتعامل مع الكون، وترقية للحياة.. يفترض أن يتحوَّل إلى قواعد أصولية وأهداف مبرمجة.. وأن نضع على سلّمنا القيمي ودرجاته الإيثار والطهارة والوفاء والاستبسال وحبّ التضحية..كما أن التراث يجب أن لا يشدنا كثيراً على حساب الواقع ومعادلاته وقوانينه.. وأن لا توجهنا الذرائعية أكثر من البرهان.. وأن نفرق بين درجات المأمول وتراتبيته، وذلك لكي نتبيَّن الأولويات ونتجنب العثرات.. وفي مجال التعامُل مع التراث لصنع الحضارة قد يكون من اللافت أن نشير إلى مقولة أحد الكتاب وهو د.مصطفى ملكيان الذي قرر أن هناك ثلاثة مستويات دينية قد تشكلت

تاريخياً، دين النص المنزل، ودين التراث، ودين العرف.. فلا بُدَّ من تمحيص الحقيقة، ولو كانت نسبية.. وفي قوله كثير من الصواب لأن كثرة الممنوعات تضعف الممنوع المركزي..

إننا بحاجة إلى أن نعيد بناء ما هدمته الأيام وأعاقت حركة تقدمنا، نفتش في مطاوي التاريخ وبطون الكتب ورفوف المتاحف ومؤسسات المعرفة لرفد الحركة الحضارية الإنسانية، وإذا لم نبعث حضارتنا نموت تحت وطأة الصراع.. فالتغني بالأمجاد وحسب، والتمحور الزائد حول الطيف والطائفة والأثنية والعرق يسبب العوق الحضاري ويركز التخلف.. وأن نعلم أن الغرب أيضاً متأخر عما كان عليه أن يصل إليه.. وعلينا أن لا نيأس من استعادة دورنا، فكما ينص "كروبر" فإنه لا دليل على أن حضارة ما ازدهرت فترة أن لا تعاود ازدهارها.. وأن العامل الاقتصادي لا يُنكر دوره في التنمية، لكنه ليس المعامل الحضاري الوحيد، فلكلِّ حضارةٍ جوانبُ تفوقها..

ومِمّا يزيدنا ثقة أننا نقرأ عن اقتناع كثير من المفكرين بجدوى قيمنا الحضارية.. وما ذلك إلا لأنها تعطي نظرة أخلاقية للعالم، فقد أسلم غارودي بعد تأليفه "حوار الحضارات" وتمكنه من دراسة نقاط قوتها وضعفها، مُثنياً على حضارتنا وإنجازاتها العالمية.. مُعترفاً في كتابه هذا بأن حضارة الغرب غسقية، وأنها تستمد جذورها من تراث مصري وعراقي في فترة ما قبل الإسلام.. على الرغم من أن د.علي حرب انتقده في قلة إبداعه وميله الأصولي.. وفي مؤتمر عن الإسهام التاريخيّ لحضارتنا صرّح غارودي أن أكثر الفترات شؤماً في تاريخ الغرب هي السنة التي وقعت فيها معركة "بواتييه" حيث تراجعت هذه الحضارة أمام عنف فرنسا..

وأسلم محمد أسد بعد إدراك خصوصية حضارة الإسلام، ملمّحاً في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق" إلى أن الإسلام جعلته المناهج الأوروبية غريباً ورسخ في أذهان الجيل الجديد أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم.. كما لو أن سائر المدنيات قد خلقت لتكون حواشي تناسب بهاء أوروبا وحدها.. ولقد كان من أسباب إسلامه أيضاً أنه تطلع إلى حياة أكثر هدوءاً وأكثر إنسانية.. وإلى تنظيم للحياة مع أقل قدر من النزاع الداخلي وأكبر قدر من الشعور الأخوي كما يقول.. قال هذا على الرغم من المنجزات المادية والتقنية في عالمه والتي لم تحقق النجاعة النفسية للإنسان والتوافق المريح مع الغيب..

ويبين هشام جعيط في كتابه "أوروبا والإسلام" أن الحضارة الإسلامية التي عِبرها "حدث" ألف تأثير!، متطورة لكنها مخلصة لفكر الوحي، تركيبية لكنها أصيلة بقوة، هذه الحضارة التي لمعت لمدة خمسة قرون ببريق هائل يمثل أحد أسمى جهود الإنسان.. مركّزاً على استيعابها لكلِّ طاقات الشعوب التي اقتنعت به، وتوفيقها بين الروح العملية والحِراك المادي والمنهج الحر في

التفكير الذي اتسمت به الحضارة الغربية، وبين التوق للخلود والمنحى الغيبيّ للكونفوشية والبوذية مع التحرُّر من سلطة الخرافة..

حضارتنا لها ثوابت ومع ذلك فإن اتهامها بالصرامة الدينية وغياب المرونة لا يقوم على أساس معرفيّ أو حقوقيّ لا جدال فيه.. وبين يدي كتاب لكاتب يعيد هذه الشبهة، ولا ينسى الدعوة الملة لإلغاء الحجاب مع أنه لا يعيق تقدماً ولا يمنع من الحركة الحضارية.. وهو يستدرك قائلاً بأن نصنا المقدس: "يفتحُ أمام الإصلاح باب الاجتهاد الذي لم يغلق أبداً". ومن ميزاته أنه يعرض خططاً مادية لبعث الحياة في الأرض الموات للبلاد الإسلامية في تطوير صناعتها وزراعتها وتخطيطها وفنيتها وتقنيتها..

مع كلّ التحليلات والتعريفات والرُؤى حول الروح الحضارية نجد من الضروري أن نؤشِّر إلى كيفية قيام نهضة مستفيدة من كل نقاط الضوء ومواقع الفاعلية الفكرية والمؤسسية وجهود كل المصلحين في هذا المجال.. فليست المشكلة في عالمنا إدارية فقط، ولا اقتصادية بحتة، أو مجرد استيراد تقنيات، أو توفير أسباب القوة المادية، أو حلول جزئية.. وكما يقول مالك بن نبي نأخذ حبة ضد الجهل، وقرصاً ضد الاستعباد، وعقاراً ضد الفقر.. بل لا بُدَّ من رؤية شاملة وأصيلة للحضارة ومنطلقاتها وأسسها وآلياتها.. ولا تحل الإشكالية الحضارية بمجرد التقريرات المتفائلة بعودة الناس إلى الفطرة بعد المعاناة من الدخول في طرق مسدودة لمادية الحضارة المعاصرة.. بل بوضع النقاط على الحروف في كيفية النهضة المعاصرة من واقع معقّد، وتراكمات ذهنية، وتناقضات حياتية، وأوضاع مركّبة، ومعالجة لخمود الروح الحضارية لدينا.. وكذلك ركّز د.محمد عابد الجابري على الديمقراطية والعقلانية، وفصّل في بيان بنية العقل العربي المسلم، وكيفية تجديده، وتجنُّب سلبيات كل من مناهج البيان والعرفان والبيان في قراءة النصوص لإيجاد شهودٍ حضاريّ جديد..

وهناك رؤى نراها محتمة للتكامل والشهود الحضاري منها:

(١) تفعيل خِطابنا الثقافي بشكل ممنهج وذي فاعلية في المجتمع..

(٢) تنوير الفكر وتحديثه ببرامج تعيد الحيوية التخيلية والإبداعية للفكر كي لا ينحصر في إطار الحاجات المادية والحسية..

(٣) إعادة التعمُّق الفكريّ والنزعة التحليليَّة والنظرة التركيبيَّة للظواهر، وعدم التعامل مع سطحية الحياة فقط ومؤثراتها الخارجية القريبة..

(٤) تجنب الوقوع فريسة في فخ الاكتفاء بالتفسير التآمري للأحداث والمتغيرات..

(٥) ننظر إلى تاريخنا نظرة تفاؤلية تأخذ بروحه وعبرته بلا استنساخ ساذج، وبدون تبرير أو توظيف أيديولوجي محدود.. ودراسته عمودياً وأفقياً لا يكتفي برصد وتفكيك المفاصل والتحوُّلات الجارية، بل بسبر بنيتها وتفكيكها، والبحث عن أسرارها وعبرها ومغزاها.. فتاريخنا غير معصوم ولا عشوائي، وهو في بعده السردي

يحتاج إلى التنقيح والمراجعة.. وإذا كان القدر يؤطر حِراك الإنسان، فالإنسان يراجع منجزاته ويُفسِّرها ويعيد صياغتها.. وليس عبثاً أن يكون في إسرائيل ١٥٠٠ متحف بعضها متخصص لزيادة التمحور على الذات والتاريخ.. ولا بُدَّ من التحليل الشامل للبنية الحضارية في إطارها الزمنيّ بكل أسبابها وواجهاتها ومكوِّناتها، وتفسير التاريخ تفسيراً معرفيّاً لا يغفل دور العوامل كلها التي تسهم في صنعه.. كما لا بُدَّ من الشعور بقيمة الزمن الذي أكّد عليه الكتاب بكونه عامل بناء حضاريّ وليس كعملة كاسدة تصرّف في التفاهة والغرور والغفلة..

(٦) تفسير التاريخ العالمي تفسيراً علمياً نقديّاً لا يكتفي بالتأمُّل المجرَّد، ولا يغفل دور العوامل كلها التي ساهمت وتسهم في صنعه وتوجيه حركته..

(٧) تشغيل علم التمية البشرية ليس لإعادة الثقة بالنفس فقط بل في الآخر، إذِ الأول يؤدِّي إلى توظيف الآخر واستثماره، وعدم الدخُول معه في علاقة متكافئة..

(٨) مواجهة ثقافة الانكماش على الذات وسلبيات الماضي بكل تلويناتها وما فيها من عناصر ضعف وتاريخية..

(٩) تجنب انتظار الحلول الخارقة والأبطال المنتظرين خارج سياق الواقع وإمكاناته ورؤاه، مع استشفاف المستقبل والتفاؤل..

(١٠) مراعاة فقه الأولويات والمقاصد التي طالما أشار إليه علماء وكتاب قُدامى ومحدثون..

(١١) عدم تمثل القياس المختزل وهو قياس النفس على المنهج والطريقة والتاريخ، فما أحمله حقاً لا يقتضي أن يكون تمثلي له في مستوى الأداء المطلوب، إذ يُؤدِّي ذلك إلى أن لا يلتزمَ الآخر به كما هو مطلُوب، لا لِخللٍ في المحمُول بل فيَّ أنا الحامل..

(١٢) الموازنة بين السؤال والجواب فلنسأل لنزداد علماً ونجاوب لنزداد فضلاً!!

(١٣) الاستفادة القصوى من الوقت والموهبة ..لكن هذا لا يعني أن نتقوقع على طموحنا الفرديّ وننسى الآخر، بَلْ نقدم له المواساة والعاطفة والعون والخدمة والخبرة..

(١٣) هناك مرتكزات أخلاقية لبناء الحضارة وإدامتها وصيرورتها إلى الأفضل في كُلِّ مجالات الحياة والإدارة والنبوغ والإبداع العلمي وشد لحمة المجتمع ومنها: الشورى، والعدل، والانفتاح على التقدُّم، والجدية، والأمانة في الأداء، والجمالية والرقة في الخطاب، ووضع ميزان لنشاط الإنسان بين مجالات الدنيا وأهداف الحياة، والذكاء، والتخطيط، والنظافة، والطهارة والتقوى، والتنمية.. والمحافظة على البيئة، وتجنب الإسراف في التعامل مع الموارد البيئية..

(١٤) الحذر من الوقوع في إسار النظرة الترقِّية للحياة والفكر، فقد عزا أشبنجلر أسباب سقوط الحضارة مع تقديس العلم المادي والاستغراق في التنظير العقائدي مما لا يبنى عليه عمل حضاري، عزاها إلى إيثار المنافع الضيقة على المصلحة العامة، والاندفاع وراء الشهوات.. كما علينا أن نوازن

بين إمكانياتنا المنظورة، وفاعليتنا التي تحول دون العطالة والاستلاب.. وبين مسؤولية قرارنا..

(١٥) قوانينا ودساتيرنا تعبرّ عن روحِ حضاراتنا، وتفعيلاتها وتجلياتها الواقعية ومنهجياتها العملية وحلّ إشكاليتها النظرية تزيدنا تمدناً ووئاماً..

(١٦) أن لا تنسينا التعددية الفكرية والنضج المعرفي والإحاطة الواقعية بالفكرة والحدث والموضوع المطروح في رؤيتنا إلى الثوابت الجامعة والمشتركات التي تجمع عالمنا لنتفاعل إيجابياً في الماضي، ونستشرف المستقبل، ونعالج جراحات الحاضر وسلبياته..

(١٧) توجيه نظر مناهجنا إلى استشراف آفاق عالمية ذات سمات متقاربة لا يقتضي عدم مراعاة الخصوصيات لكل مكون..

(١٨) التوفيق بين الثوابت والأبنية المشتركة للحضارات وقوانينها الفكرية والعقلية، وبين عنصر المبادهة والتجريب..

(١٩) عدم تعميم النظرات السكونية، أو التميزات الإثنية على مجمل الفعل الحضاري.. لنتجه نحو الوحدة والأهداف الإنسانية ..

(٢٠) لنتوجه إلى الحضارات الأخرى بروح الفحص والتجريب والتمييز والمقارنة، وأخذ مبادئها الحية بعيداً عن تبسيط الأمور وإطلاق الأحكام الجزاف على نوع التعامل مع الحضارات.. ودون الوقُوع في التعميمات المبسطة أو في فخاخ التسييس غير الموضوعي.. ودون التقيُّد بالاستنباطاتِ التاريخية للسِجالات التي حدثت بيننا وبين الآخر.. وأورثت رؤى أليمة وتعميمات سطحية على جميع المواطنين قد توصل لمبدأ الكراهية والعزلة وتحول دون التحاور والمراجعة..كما يجب أن لا نشعر النقص والخجل أو الانبهار نحو الآخر.. أو نمارس لعبة الهروب ودفن الرأس في الرمل.. أو الرفض المبدئي لكل إنتاج لا يتقيّد بمصطلحاتنا ومذاهبنا.. وقد دعا د.حسن حنفي إلى إنشاء علم الاستغراب لقراءة الغرب، وكيفية التفاعُل البنّاء مع فكره وحضارته.. ويرى نيال فرغسون الأستاذ الأبرز في فلسفة التاريخ في هارفارد في كتابه (الحضارة.. كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق؟) المطبوع سنة ٢٠١٣ أن الحضارة الغربية لم تلحق الهزيمة بحضارات العالم الشرقي إلاّ بالمنافسة والعِلم، والديمقراطية، والطِب، والمجمع الاستهلاكيّ، وأخلاقيات العمل.. أمّا ريتشارد كوك في كتابه انتحار الغرب المطبوع سنة ٢٠١١ ، فقد ركّز على أعمدة ستة للحضارة الغربية وهي: المسيحية، والتفاؤل، والعِلم، والنمو الاقتصادي، والليبرالية، والفردية.

إن البعض من الكُتّاب يتعامل مع الحضارات بانبهار تام، ففي كتاب عن الحضارة اليابانية ذكر كاتبه أن اليابانيين ليسوا متخلفين مثلنا فيقضوا وقتاً في السمر وتقديم الحلويات واللقاءات الاجتماعية..وكأن هذه الحيثيات لا تملأ فراغاً حضارياً في عالم النفس والقيم.. كما نجد من كتاب الغرب من يثني على حضارة الغرب، وأنها تميل إلى تحسين نظرتها نحو الأقليات والنساء، والرفق بالأطفال والحيوانات.. لكنهم ينتقدون حضارتهم

لأسباب عديدة..

(٢١) الروح الفردية والتواكُل والنظرة الجبرية للحِراك المجتمعي تحول بيننا وبين أن نتفتح على الآخر، فلا بُدَّ من تحريكِ الناس للتثاقف وحلِّ إشكالات الحياة اليومية.. كما أن تكبير الأخطاء أو تهميش الآخر يمنعُ من تقدير أهل الرأي والاختصاص والاستفادة من تراكمهم المعرفي..

(٢٢) ضرورة وضعِ مساحة تصورية لعالَم ما وراء المادة، لأنه يشكِّلُ دافعاً للفعل الأخلاقي الضروري لبقاء الحضارة.. ويدفعُ إلى ممارسة قيم العدالة لتجنُّب سقوطها، ويحض على الاستقامة والنزاهة لتجنُّب الانحراف عن أهدافها.. وقد أشار د.البوطي في كتابه "منهج الحضارة الإسلامية في القرآن" إلى أهمية تأصيل النظرة الإيمانية للحياة والموت كطرفي معادلة ووجهين لعملة واحدة بناءً على العِلّة الغائية للعالم، والنظرة إلى الكون كصفحةٍ وثائقية وحقل لتجارب الإنسان ومعرفته.. وارتأى هذا الكاتب إعادة هذا الوعي الحضاري وبعث آلياته الفكرية والنفسية والقيام بخطوات جادة وفاعلة للقضاء على التفرقة.. ومعالجة القلق الفكري والنفسي لشعوبنا تحت ضغط السبق الفكري والتقني للعالم، ومدِّ الجسور بين الحكّام والشعوب وفقاً لثوابت ومصالح وطنية، وتكثيف البناء الأخلاقي الموجّه لترشيد الدفعة الحضارية التقنية والمعرفية كوسائل للنهوض المرتقب..

(٢٣) التحديات الحضارية والثقافية واقِعٌ ومشهد، خصوصاً مع الحضور الكثيف لهُوياتنا في الغرب، التطور الهائل في عالم الاتصالات والمواصلات.. فالزمان يتغلّب على المكان بأبعاده الثلاثة، والتاريخ يجري وفق زمن واحد فوري ومباشر ومشهدي.. فلا بُدَّ من إقامة الحوار البنّاء لتقليل الخلافات في الرؤى، وتجنُّبِ ردود الفعل المستفزة، وتقبُّل ما يندرجُ تحت مظلة الاجتهاد من الآراء وزوايا النظر مِمّا يُضفي الاستقرار على المجتمعات والتوازن للحضارة العالمية.. ولا مناص من مساءلة الحضارات ومثاقفتها، فالمصالح المتبادلة يجب أن تكون مركز الاهتمام.. فالغرب لا يُنكر فلاسفته أن حضارتهم ذات روح هيلينية ومكونات تراثية ممزوجة بالمكوِّن اليهوديّ المتفلسِف الذي أشار إليه كتاب "المكون اليهودي في الحضارة الغربية" لمؤلفه سعد البازعي.. وهذا المكون على الرغم من عبقريته في التحليل والتفكيك بدءاً بأسبينوزا في مطارحاتهِ الفلسفية ونقده للعهد القديم، وانتهاءً معاصراً بديريدا إمام التفكيكيين في الأدب، مروراً بماركس الذي رسمَ هيكل نظريته المادية ببرمجة دقيقة تزيح التصورات الغيبية كما في رده على أنتي دوهرنغ لظروف حضارية خاصة.. وفرويد الذي أسرف في التفسير الجنسيّ للتاريخ ولجأ إلى مغالطات وتكلفات وأساطير كثيرة لدعم حُججه.. مُضافاً إليهم دوركايم الذي ذهب إلى أن الله هو تأليه المجتمع لنفسه.. إن كل ذلك يدفعنا كما يقول د.عبد الوهاب المسيري إلى أن لا نفكّر حضارياً فقط من خلال نماذج تحليليّة اختزاليّة جاهزة مستوردة من الغرب تحمل ثمرة أفكاره وتجربته التاريخية، نحكمُ بها على واقعنا وتاريخنا وتاريخ الجنس البشري بأسره. كما لمح إشبنجلر،

وكولن ولسون بروح استشرافيَّة إلى تدهور الغرب في بعض المعاني حيث ظهرت مفاهيم غريبة مثل موت الإنسان، موت الإله، إلغاء التاريخ والزمان لصالح اللحظة الحاضرة، ظهور الفكر العبثيّ والعدميّ.. ومحاولة البعض منهم إحياءها مثل برجسون، ياسبرز، بردياثيف.. وذكر ريتشارد كوك في كتابه انتحار الغرب أن هناك تناقضاتٍ مريعةً في بنية الحضارة الماثلة منها: تلاشي الفرد، واللا أدرية، والنسبية، والجبرية، والاستهلاك والتفاهة والمتعية، وغياب المعنى والهدف والحِكمة، والاكتئاب واليأس، والاختلاف، والتشظّي..

وفي صدد التقارُب بين مكونات الحضارات عُقِدت عدة مؤتمرات للحوار بين الأديان والحضارات لتقليل الفجوة، والمنافع المتبادلة، وإزالة أسباب سوء التفاهُم بين أقطابها.. وقُدِّمت أبحاثٌ في هذا المجال الحيويّ.. كما نظِّمت مؤتمرات وندوات ولقاءات غلبت عليها الضغوط الواقعية والمؤسسية ولم تكن مليئة بالتنظير.. وقد دعت لرسم خرائط جديدة وتبادل حاجات ثقافية.. وقد يكون من أسباب ما ذكرناه من سلبيات بقاء شيء من سوء التفاهم أو العقد السيكولوجية، مِمّا ذكره أدوارد سعيد في كتابه الاستشراق حيث يعيد البعض إنتاج منطق التعالي.. مِمّا يقتضي أن نفكّر في النهضة وفق عقلية ذكية ومرنة وخطط بعيدة المدى تستثمر ما وصل إليه الغرب.. ومع ذلك يمكن أن يشارك البعض بطرحٍ مُقنعٍ في قنواتِ الحِوار مع الآخر ليزيل نظرته الدونية لمنطلقاتِ حضارتنا.. ولإزالة أسباب الصراع أو تخفيف لهجة العداء.. وكسرِ الصورة النمطية عنا.

وعن الحوار مع الآخر قرأنا ملاحظاتٍ بأن طابع الحوار معه كان يدخل الذاكرة التاريخية ويخترقها، وقد يُسيِّس ويدخلُ في أنفاق مظلمة.. كما يعترضُ على جِديَّة الحِوار وضَعْفِ جدواه وجود بؤر ملتهبة في عالمنا بسبب التعصُّب والتطرُّف أو التهميش وتداعياتها.. مِمّا تشكّل نظرة متشائمة للحِوار ونجاعته.. خاصةً ونحن ورثة حضارة لن تتمثل بعدُ رُؤاها وقيمها ونظرتها الإنسانية.. وهو اعتراضٌ وجيه وتحدٍّ لكل المثقفين والمنظِّرين والمفكِّرين والعُلماء مِمّا يستدعي إعادة البناء استراتيجياً وإنسانياً..

(٢٤) في الواجهات العملية فإن ردمَ الفجوةِ المعرفيّة والحضاريّة تحتاجُ إلى دراساتٍ معمّقة واختصاصية للاستفادة الفضلى من مواردنا الذاتية بشراً وأرضاً وماءً وسماءً لنصِلَ إلى درجةِ الاكتفاء الذاتي.. وأن لا ننسى التفكير في موارد أخرى نغتني بها لتخفيف الفوارق وكسر البطالة، ورفع مستوى الدخل.. كما لا بُدَّ من خطط استرتيجية للانتفاع من الموارد والطاقات على أوسع مجال مجتمعي.. وفي المجال التطبيقي ظهرت محاولات لتفعيل وجه من الإسلام الحضاري في ماليزيا سواء من خلال بناء اقتصادٍ متين، وتخطيطٍ مُبرمج، واستفادة من الموارد المتاحة، وعلاقات متوازنة مع الخارج نظّر لها مهاتير محمد..كما يمكن الاستفادة من خبرات دول المنطقة حضارياً..

(٢٥) التفكير في الإشكالية الإعلامية لتكون

البرامج المرسلة أكثر منهجية، فاليوم كما يقول د.علي حرب يطغى الشاهد على الغائب، والمرئي على المقروء، والصورة على الفكرة، والإشارة على الدلالة..

(٢٦) من مقتضيات الحضارة تفعيلُ مساراتٍ حديثة في الفهم والتنظير والاجتهاد تناسب حاجة كل شعب وترفع سقفه الرؤيوي إلى أعلى.. وفي المعرفة وعالميتها وضرورتها الحضارية نلتقي بمعهد الفكر العالمي الذي دعا رجاله إلى إصلاح الفكر، وإعادة الحوافز الحضارية لشعوبنا، وتخليص ثقافتها الاجتماعية وخطابها التربوي من تشوُّهات القرون ومُخلّفات الشعوب والأمم.. وله دورية توصل هذه المفاهيم.. وتمثل الجامعة الإسلامية في ماليزيا خطوة رائدة لإصلاح تعليمي يقضي على الفصام بين الرؤى الحضارية العالميّة، وتجسير العلاقة بين حقائق العلوم الدينية والكونية.. والأمل في البعثات التي أرسلت من الإقليم ليساهموا حين عودتهم في النهضة والتحديث.

(٢٧) لدينا توصيفات ومُعالجات وطروحات معاصرة تشكّل إطاراً ثقافياً تعددياً واسعاً.. فهي شكل من أشكال العمل الحضاري ومجال من مجالات الانفتاح.. وكثيراً ما نسمعُ من مراجعَ معتمدة تدعو إلى انفتاحٍ مسؤُول على التعدديات والأطياف للالتقاء على ثوابت مُشتركة تتيحُ رفعَ التشنجات، وتعملُ على إعادة تشغيل عقل الأمة في برامجِ هادفة بعيدة عن الحزازات..

وأخيراً فلا بُدَّ من تحكيم العقلانية وقوانين التقدُّم في مسارِنا الحضاريّ، والصبر على بناء الذات.. وتوحيد المنطلقات العامة، وترسيخ المفاهيم الحاثة على التقارُب والتعارُف والتعاون.. لتجنُّب الحساسيات بين المدارس المختلفة، كما يقتضينا التطور نبذ الجمود والتوقف، وتملّك الرؤية الاستشرافية.. وإعطاء أهمية للإجابة عن أسئلة النهضة والحداثة وما بعدها.. أجوبة تأصيلية شفافة.. فلا يمكن أن تتأسّس حضارتُنا وتستقر وتأخذ مدياتها وأبعادها دون التداول الفكري المجدّد لطروحات كل شريحة مجتمعية على صعيد الواقع، كما لا يتحقّق ذلك إذا بقينا رهينة حماسة الأدبيات الإصلاحية فقط، أو السرد التاريخي لجهود المصلحين عمودياً وأفقياً..

والمهم أن الشعب الذي ليست له حضارة مستوعبة لتطلعاته، ولا يملك رؤية منهجية لها، لا يستكمل معادلات تقدُّمه.. ومن ثَمَّ يكون مقصّراً في مهمته في إثراء الوجُود الإنساني وإسعاده.. والتطلّع متوجّه إلى النخبة المثقفة والرائدة تتبين موقعها من العالم، وماذا عليها أن تنجز للتعامُل الجدي مع صيرورة هذا العالم الحديث في بعدهِ التقدُّمي، وماذا عليها أن تأخذ منه أو تدع.. لتتولى مسؤولية البناء الحضاري العتيد □

الاستشراق الفرنسي ودوره في التأسيس للحملة الفرنسية على مصر

2 - 2



عمر جاسم محمد

ماجستير في التاريخ الحديث

وقدر تعلق الأمر بالأثر الذي تركته كتابات (فولتير)(١) على (نابليون)، فرغم أن (فولتير) قد أشار إلى أن العرب، الذين لم يريدوا من العلوم سوى القرآن، قد حاولوا إظهار أن عبقريتهم تمتد إلى كل المجالات، ولكن (نابليون) فهمها على استكناه لمخيلة العرب المتميزين ببناء الحضارة ونشر العلوم والمعارف، وجعل ذلك وسيلة للوصول إلى الأهداف المرجوة، وبقيادته لجيش من العلماء - فيما بعد - حاول (نابليون) عبثاً تقليد شخصية النبي (محمد) (عليه الصلاة والسلام)، ولكن الشخصية التي رسمها (فولتير) ترى أن العرب "الغازين"، يتصرفون وكأنهم بناةُ إمبراطورياتِ أوربيون، فبعد الغزو مباشرة تحين مرحلة الاستغلال، التي تقوم أساساً على إنشاء بنية تحتية للنقل، وإن عربيَّ الغزوات الأولى يشبه في سمات كثيرة الأوربي الغازي، وهذا التماثل لا يقتصر فقط على الممارسة العملية فحسب، بل أيضاً على البحث العلمي.. تلك هي الطريقة التي فهم فيها (نابليون) ما كتبه (فولتير)(٢).

وفي الواقع سيطر مفهوم "الاستبداد المستنير الشرقي"، خلال القرن الثامن عشر، على كتابات (مونتسكيو)(٣) وآرائه، منذ نشره في عام ١٧٤٨م لمؤلفه (روح القوانين)، ورغم تلك الكتابات عن (محمد)(عليه الصلاة والسلام) فإن كتابات (فولتير) هي التي أثارت ولع القراء، وأثرت عليهم، ومرد ذلك أن شهرة المؤلف، وتعدد إصداراته، هي التي روجّت "الأعمال عن (محمد)"، حتى وإن لم تكن مطابقة للصورة الجديدة عن الإسلام ورسوله. وفي الواقع يتحدث

(فولتير) عن الرسول، كما لو كان يتحدث عن شخصية ميكافيللية – وهي شخصية (نابليون) فيما بعد –، وهناك كاتبان لا يقلان أهمية عن (فولتير)، انطلقا من مفهومه ذلك، وجعلا من "محمد" وديانته قوتهما الضاربة، واكتسبا بفضله شهرة واسعة، هما (سافاري Savary)، و (فولني Volney)، ويعكس كلاهما تناقضات صورة (فولتير)، وقد لعبا دوراً حاسماً في نقل المساجلة الفلسفية الخالصة نحو تنفيذ مشروع غزو مصر(٤). وهكذا فإن إعجاب (نابليون) بمحمد (عليه الصلاة والسلام) نشأ أساساً من تأثير كتابات (فولتير) و(فولني) و(سافاري)، كما سيظهر بنا.

إن إدراج (نابليون) لعدد كبير من المختصين، في حملته المصرية، من الشهرة، بحيث لا يتطلب تفصيلاً، وكانت فكرته أن يؤسس نوعاً من سجل حي للمحفوظات عن حملته، في صورة دراسات حول الموضوعات الممكنة، يقوم بها أعضاء معهد مصر الذي أنشأه، غير أن ما قد يكون أقل شهرة، هو اعتماد (نابليون)، السابق على الحملة، على دراسات (كونت دو فولني)، وهو رحالة فرنسي نشر كتابه (رحلة إلى مصر وسورية) في مجلدين عام ١٧٨٧. لقد رأى في (فولني) عالماً مهمته دائماً هي أن يسجل الحالة الوجودية للأشياء التي يراها، وكانت آراء (فولني) في الإسلام، بوصفه ديناً ونظاماً من المؤسسات السياسية، عدائية، عداء شرائعياً، ومع ذلك فقد وجد (نابليون) هذا العمل، وكتاب (فولني) الآخر: "نظرات في الحرب الراهنة للأتراك ١٧٨٨" ذوي أهمية خاصة، فقد كان (فولني) في الحساب الأخير، فرنسياً حكيماً، قد عاين الشرق الأدنى بوصفه مكاناً يحتمل أن تتحقق الطموحات الفرنسية الاستعمارية فيه، وكان ما أفاده (نابليون) من عمل (فولني) هو تعداد العقبات التي لا بد أن تواجهها أي حملة فرنسية في الشرق، في سلم تصاعدي تبعاً لدرجة الصعوبة(٥).

تقدم (مصر) مثالاً ملموساً لحالة الشرق، ثم إنها هدف لمطامع أوربية كبرى، في أواخر القرن الثامن عشر، وموقعها الجغرافي يلعب دوراً عظيماً في هذا الاختيار، لكن وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي هو الذي يدفع بشكل أخص إلى الاهتمام بها، ومن ثم فإن الفكرة التي كونها القرن الثامن عشر عن هذا البلد، هي عنصر مهم يجب تحديدها، وبنى الرحالة في أعماقهم تصوراً خاصاً عن مصر، فيجري النظر إليها بوصفها جزءاً من الإرث الثقافي للغرب، وليس من شأن الذكريات التوراتية إلا أن تعزز هذا الشعور، وتعبر

دائرة المعارف الاسلامية Encyclopedia of Islam ٢ عن الشعور العام عندما تقول: "لقد كانت مصر في الماضي بلداً يستحق الإعجاب، وهي اليوم بلد يستحق الدراسة".

ويشير (نابليون) صراحة، في تأملاته حول الحملة المصرية، إلى (فولني)، حين كان في جزيرة القديسة هيلانة، قائلاً: إن (فولني) رأى أن ثمة ثلاثة حواجز في وجه السيطرة الفرنسية في الشرق، وإن أية قوة فرنسية لا بد أن تحارب - لذلك - ثلاثة حروب: الأولى ضد إنكلترا، والثانية ضد الباب العالي العثماني، والثالثة، وهي أكثرها صعوبة، ضد المسلمين. ولقد كان تقدير (فولني) تقدير داهية متمرس، ويصعب جداً أن يخطئ، إذ كان واضحاً لـ(نابليون) - كما سيكون لكل من يقرأ فولني - أن رحلته ونظراته، كانا نصين ناجعين لاستخدام أي أوربي يود أن يحظى بالنجاح في الشرق. وبكلمات أخرى: فقد شكل عمل (فولني) دليلاً كتابياً لتخفيف حدة الصدمة الإنسانية، التي ربما شعر بها الأوربي لحظة تجربته المباشرة للشرق.

ويبدو أن أطروحة (فولني) كانت التالية: إقرأ الكتابين، وبدلاً من أن تصاب بحس الخيبة بالشرق، فإنك ستشد الشرق إليك(٦).

لقد أسست النتاجات الاستشراقية - ليس التاريخية فحسب - لحملة مصر بطرق شتى، انطلاقاً من بلد الذكريات وصناعة المجد، وانتهاءاً بفكرة التخليص من الاستبداد الشرقي، الذي أقام كل من (فولني) و(سافاري) أفكارهما عليه، وحينها تصبح الملكية - كما هي الحال في فرنسا - صورة أخرى للاستبداد يجب التخلص منها، فالحكم العسكري من وجهة نظر (نابليون)، يعد - من نواح معينة - جمهورياً أكثر من كونه ملكياً، وهو تسويغ خطير جداً من (نابليون)، باعتباره نظام المماليك حكماً ملكياً استبدادياً، كان من شأنه إحداث خيبة كبيرة في الذكريات عن مصر الحضارة، التي صورتها أعمال الرحالة.

لقد فهم (نابليون) (فولني) فهماً حرفياً تقريباً، لكن بطريقة تميز بها من حيث الرهافة واللطافة، ومنذ الظهور الأول لجيش فرنسا على الأفق المصري، بذل (نابليون) ما في وسعه من جهد لإقناع المسلمين بـ(إننا نحن المسلمون الحقيقيون)، ومتسلحاً بفريق من المستشرقين، جالساً في سفينة القيادة المسماة (الشرق) واستغل عداء المصريين للمماليك، والجاذبية التي حملتها الفكرة الثورية الفرنسية عن تساوي الفرص أمام الجميع، ليشن ضد الإسلام حرباً فريدة في وقتها وانتقائها، وكان ما ترك أعمق الأثر في نفس (الجبرتي)، اعتماد (نابليون) على الباحثين ليديروا اتصالاته

مع السكان المحليين، ولقد حاول (نابليون) في كل وقت ومكان أن يبرهن أنه كان يحارب من أجل الإسلام، وقد ترجم ما قاله إلى عربية قرآنية، تماماً كما كان قواد الجيش الفرنسي قد حثوا جنودهم على تذكر الحساسية الإسلامية دائماً(٧).

وهذه الأفكار المشجعة على الاستعمار لا تظهر فجأة عشية الحملة، فقد درس جميع رسائل القناصل وتقارير الرحالة، وما كان لمحاولة (بونابرت) أن تتم ما لم يكن هناك اقتناع بإمكانية وبفرصة مثل هذا المشروع، والحالة أن الصورة المحزنة التي تبديها مصر، أو التي يجري تقديمها عن مصر، لا يمكن فهمها إلا ضمن منظور كهذا: منظور إنقاذ شعب من الاستبداد.

ويمكن استخلاص ذلك عبر قراءة للحكاية العربية التي كتبها (نابليون)، والتي تظهر بشكل واضح تصوراته عن الشرق والإسلام والنبي (عليه الصلاة والسلام)، بشكل خاص، كتب (بونابرت) هذه الحكاية إما في عام ١٧٨٨م أو ١٧٨٩م، وهي تحذو من حيث الجوهر نص (ماريني)، الذي لا يفعل هو نفسه سوى النقل عن (هربلو)(٨):

"في عام ١٦٠ للهجرة، كان (المهدي) يمسك بزمام الأمور في (بغداد)، وقد شهد هذا الأمير العظيم، الكريم، المستنير، الشهم، ازدهار الإمبراطورية في ظلال السلم والأمن. وبما أن جيرانه كانوا يخشونه ويراعون جانبه، فقد انكب على العمل على ازدهار العلوم والإسراع بنجاحاتها، لكن السكينة ارتبكت بسبب (ابن حكيم)، الذي شرع، من أعماق خراسان، بتكوين أشياع له في جميع أرجاء الامبراطورية. وكان (ابن حكيم)، الفارع القامة، والذي كان بليغاً بلاغة جازمة ونزقة، كان يزعم أنه رسول الله، وقد دعا إلى أخلاق طاهرة عزيزة على أفئدة الجماهير: فقد كانت المساواة في المكانات، وفي الثروات، هي الشعار الأساسي لخطبه. وقد انتظم الشعب تحت بيارقه. وكان لابن حكيم جيش.

وقد تحسس الخليفة والخبراء ضرورة أن يخنقوا في المهد هذه الانتفاضة الجسيمة الخطر، لكن قواتهم منيت بالهزيمة عدة مرات، وعلى مدار جميع الأيام كان (ابن حكيم) يحرز غلبة في أثر غلبة.

على أن مرضاً فظيعاً، ترتب على مكابدات الحرب، أدى إلى تشويه وجه النبي. ولم يعد هذا النبي أجمل العرب، إن هذه الملامح النبيلة والفخورة، وهاتين العينين الواسعتين والمتقدتين، قد تشوهت، وأصبح (ابن حكيم) أعمى. وكان بإمكان هذا التحول أن يؤدي إلى كبح حماسة أنصاره، فخطر بباله أن

يرتدي قناعاً فضياً.

وظهر وسط أشياعه، لم يفقد (ابن حكيم) شيئاً من بلاغته، وكان لكلامه القوة نفسها. وقد تحدث إليهم، وأقنعهم بأنه لا يرتدي هذا القناع إلا لكي يحول دون أن يعمي النور الذي يفيض من وجهه أبصار البشر.

وقد اعتمد أكثر من ذي قبل على هذيان الشعوب، التي أثار حماستها، عندما أدت خسارة معركة إلى تخريب أعماله واختزال أنصاره وإضعاف إيمانهم. وقد حوصر، وكانت الحامية قليلة العدد. يا (ابن حكيم)، يجب أن تهلك وإلا فإن أعداءك سوف يأسرونك! عندئذ يجمع أشياعه ويقول لهم: "أيها المؤمنون، يا من اختارهم الله ومحمد لإحياء الإمبراطورية ولرد الاعتبار إلى أمتنا، لماذا يثبط عدد أعدائنا عزيمتكم؟ اسمعوا: في الليلة الماضية، بينما كنتم كلكم غارقين في النوم، سجدت وناديت الله: "يا ولي أمري، لقد حميتني على مدار سنين عديدة، وأنا أو الذين معي لا بد أننا نذنب في حقك، فها أنت ذا تتخلى عنا!". وبعد ذلك بهنيهة سمعت صوتاً يقول لي: "يا ابن حكيم، إن الذين لم يهجروك هم أصدقاؤك الصادقون، وهم وحدهم المختارون، وسوف يتقاسمون معك ثروات أعدائك المتكبرين. انتظر القمر الجديد، واعمل على حفر خنادق عميقة، وسوف يسقط فيها أعداؤك كذبابات دوخها الدخان".

وسرعان ما حفرت الخنادق، وجرى ملء أحدها بالجير، وجرى وضع براميل مليئة بالنبيذ على الحافة.

وبعد أن فرغوا من هذا كله، تناولوا وجبة جماعية، وشرب الجميع من النبيذ نفسه، وماتوا بأعراض واحدة.

ثم جر (ابن حكيم) جثثهم إلى الجير حيث تحللت فيه، وأشعل النار في المشروبات الروحية، وألقى بنفسه فيها. وفي الغداة، كانت قوات الخليفة تزمع الزحف، لكنها توقفت عندما رأت البوابات مفتوحة. وأخذت تدخل بحذر ولم تجد غير امرأة، هي عشيقة (ابن حكيم)، التي كتبت لها النجاة من بعده.

تلك كانت نهاية (ابن حكيم)، الملقب بـ(البرقعي)، والذي يعتقد أشياعه أنه قد رفع إلى السماء مع جماعته.

هذا المثال غريب لا يكاد يصدق. فإلى أي حد يمكن لجنون الشهرة أن يمضي!"

هكذا يمكن رسم الصورة المصرية (الشرق) في مخيلة (نابليون) والفرنسيين، بطريقة من الدقة بمكان، ترصد التحولات الكبيرة التي شهدتها الصورة النمطية، حتى أصبحت بشكل مستقر في ذهنية (نابليون)، فبعد أن كان الإسلام وحشاً غيبياً في تخيلات الأوربيين، لا سيما ما قبل الحروب الصليبية، وتلك الأساطير التي ظهرت

حول عدم إمكانية هزيمة جيش من المسلمين، نرى الصورة تبدلت وتحولت أثناء الحروب الصليبية، وما بعدها، ثم ما فتئت تلك الصورة تتغير، لا سيما بعد الحملات النصية التي مثلها الرحالة الذين استكشفوا الشرق عن قرب، وبدأت الصورة تأخذ شكلاً أكثر خطورة مما كانت عليه، فبعد أن كانت صورة قائمة على التخلف والهمجية، أصبحت وبفضل (فولتير)، قائمة على الذكاء المتقن، ولكنها في الوقت ذاته عدائية، وقد أدرك (نابليون) من كل ذلك أنه ينبغي عليه أن يحسن إنشاء المعادلة، فاختار أن يكون (مسلماً) على أن يكون عدواً لهم(٩)☐

الهوامش:

(١) من أبرز أعمال (فولتير): الرسائل الفلسفية ١٧٣٤م: موت قيصر ١٧٣٤م، مسرحية (محمد) ١٧٤٢م، وبهذه المسرحية صور (فولتير) النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) على أنه يخطف النساء ويحملهن على دخول الإسلام، كما شكك بلقائه بجبريل (عليه السلام)، لكنه في الوقت ذاته طرح شخصيته بشكل مغاير عما كانت عليه في العصور الوسطى، إذ وضح أن شخصيته شخصية عاقلة ذكية، تهدف إلى بناء بنية تحتية للبلاد التي يدخل فيها، وأنه اهتم ببناء الحضارة. طرابيشي، معجم، ص ٤٣٦.

(٢) Laurens , Les Origines , P.٢٥.

(٣) Montesquieu (مونتسكيو): كاتب أخلاقي ومفكر وفيلسوف فرنسي، ولد في ١٨ كانون الثاني ١٦٨٩م، درس القانون وتخرج محامياً عام ١٧٠٨، اهتم بشؤون السياسة والمغامرات الغرامية والأخلاق وعلوم المعارف والعادات، وكتب (روح القوانين) الذي صدر عام ١٧٤٨م. طرابيشي، معجم، ص ٦٠١-٦٠٢.

(٤) يوسف، بونابرت، ص ٧٦" ذهني، مصر، ص ٦٣" هوبزباوم، أريك، عصر الثورة أوربا ١٧٨٩-١٨٤٨، ترجمة: فايز الصباغ، ط٢، مؤسسة ترجمان (بيروت: ٢٠٠٨)، ص ١٧٤.

(٥) Volney , Constantin Francois , Voyage En Egypte Et Syric , Bossange , (Paris:١٨٢١) , Vol.٢ , P.٢٤١ ; سعيد، الاستشراق، ص ١١١" يوسف، بونابرت: ص ٩٨.

(٦) Bonaperte , Napoleon , Compagens D'Egypte Et De Syrie ١٧٩٨-١٨٠١ , Memoires Poarserviva L'Histoire D Napoleon , Comou , (Paris:١٨٤٣),Vol.١ , P.٢١١ ; O'Mara , Barry Edward , Napolcon At St, Helena , Scribner and Welford , (New York : ١٨٨٩) Vol.١ , P.١٧ ; جيرور، جان، النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي، ط ١، دار النهار (بيروت: ٢٠٠١)، ص ٦٨.

(٧) Cole , Juan , Napoleon's Egypt : Invading the Middle East , First Publish , AUC , (Cairo : ٢٠٠٨) , P.١٦ ; Cherfils , Christian , Bonaparte Et L'Islam D'apres Les Document Francais Arabs , A.Pedone , (Paris : ١٩١٤) , P.٢٣ ; هيرولد، ج. كريستوفر، بونابرت في مصر، ترجمة: فؤاد اندراوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: ١٩٨٨)، ص ٢١.

(٨) بارتيلمي هربلو Barthélemy d'Herbelot (١٦٢٥ - ١٦٩٥م) هو مستشرق فرنسي. له «معجم عربي فارسي تركي» وباشر بترجمة «تاريخ المسلمين» للمكين، إلى الفرنسية، وأتمها (جالان). هربلو، موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي" موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي.

(٩) زاهر، محمد إسماعيل، أزمة الوعي العربي بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، كتب عربية (بيروت: ٢٠٠٦)، ص ٤٨.



لكي لا ينتج صمتنا دكتاتورية جديدة

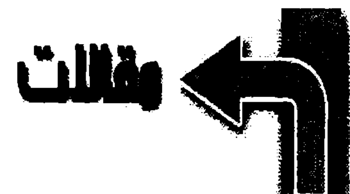


صلاح سعيد أمين

أخيراً صرّح السيد مسعود البارزاني بأن ما يحدث في إقليم كوردستان من أزمات مختلفة، بما فيها الأزمة المالية الأخيرة، يعود كله إلى السياسات الخاطئة لحزبا السلطة في إدارة الإقليم! وفي الحقيقة، فليس حزبي السلطة المتمثلين في: الاتحاد الوطني الكوردستاني الذي يتزعمه السيد جلال الطالباني، والحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي يترأسه السيد مسعود البارزاني، المسؤول الأول والأخير عن كل ما جرى ويجري في الإقليم، فالفيلسوف المشهور "آلآن دولابوتي" يعلمنا أن السلطة لا تستطيع أن تفعل ما تشاء إن لم تكن أنفسنا أداة بيدها لتحقيق ما تريد، فحزبي السلطة في الإقليم، وفي غضون العقدين الماضيين، خلطا الحابل بالنابل، بدءاً من الاقتتال الداخلي المنبوذ، مروراً بالاتفاقية الاستراتيجية الغاصبة للديمقراطية والقاسمة للسلطة والثروة والإدارة في الإقليم، وانتهاءاً بتأخير تشكيل الحكومة الجديدة التي حطمت الرقم القياسي في تأخير تشكيل الحكومات في المنطقة عموماً..

والغريب أن الشعب في الإقليم، وأمام كل ذلك اختار الصمت، ولم يكسر جدار السكوت، لا بل لم يتحرك قيد أنملة إزاء ما جرى ويجري من الفساد المستشري في كل مفاصل السلطة، ونهب وسلب البنية التحتية للإقليم، والعقود النفطية غير الشفافة المبرمة مع الشركات الأجنبية، وإهدار المال العام، فضلاً عن اغتيال الصحفيين، وحرق القنوات الإعلامية ومقرات الأحزاب السياسية المشاركة في الحكومة والعملية السياسية...إلخ. فعلى الشعب أن يصحو من نومه، وأن لا يغفل عن أداء واجباته تجاه ذاته، وتجاه الأجيال القادمة، فالمسؤولون في الإقليم لم يأتوا من المريخ، ولا من كواكب أخرى، بل هم من أنجبه هذا الشعب، ونشأوا على تراب هذا الوطن، فكيف بمقدورهم أن يتلاعبوا بمصائرنا مالياً وسياسياً وإدارياً، إن لم نقرر أن نختار الصمت، بل نصفق لهم ونباركهم بصمتنا المخيف إزاء ما يقومون به ليل نهار مما لا يرضى به أي إنسان شريف!

على الشعب أن يغضب من أجل أن لا يُنتج صمته دكتاتورية وثقافة استبدادية جديدة، وعلى الشعب أن يغضب ليثأر لنفسه ولحقوقه بأسلوب مدني، بل إن عليه أولاً أن يثأر حتى من نفسه – قبل غيره – لأنه شارك في كل ما حدث ويحدث، بصمته وبغياب كلمته، لأن التغيير يبدأ من داخل الشعوب، ومن ثم ينتشر إلى ما حولها، ويجب أن لا ننسى ما قاله الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجه): "إن الصامت عن الحق شيطان أخرس". إن على الكتل الفائزة في الانتخابات أن لا تنسى أنها على أبواب انتخابات جديدة، وأن الشعب سيقول كلمته، وسيأخذ بعين الاعتبار كل ما هو غير معقول مما جرى ويجري منذ انتخابات الحادي والعشرين من أيلول من العام المنصرم وحتى الآن□



- الإقليم بين رهانات الداخل وتهميش الخارج — زيرفان البرواري
- النهضة وتجديد الفكر الديني — هفال برواري
- الفقيه والفيلسوف بين العقل والنقل — عبدالكريم يحيى الزيباري



الإقليم

بين رهانات الداخل وتهميش الخارج !!

زيرفان سليمان البرواري

إن إدارة العملية السياسية في إقليم كوردستان العراق لم تكن عملية سهلة ومرنة، ابتداءً من بدايات تسعينيات القرن الماضي، امتدادًا من احتلال العراق، مرورًا بتشكيل النظام السياسي الجديد في العراق. فالتغيير السياسي الكبير الذي حصل في العراق، وتغير على إثره النظام السياسي في بلاد الرافدين، من رئاسة شمولية قائمة على أساس الطغيان، والاحتكار السياسي، إلى نظام برلماني هش، ومتذبذب بين خليط من الكيانات السياسية، التي لم يجمعها غير النفوذ السياسي، وتقسيم الثروات بين بعضها البعض، إن الانتقال من حالة الفوضى الأمنية إلى دولة المؤسسات منذ ٢٠٠٣، لم يشهد النور، لأن التغيير لم يكن قائمًا على أساس استراتيجي وعقلاني، مثلما حدث في كل من ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية، ونظرًا لسياسة المجاملات وتقسيم الثروات، فقد تكوّن في العراق نظام سياسي ضعيف لا يستجيب للمعطيات والتهديدات الداخلية والخارجية، ففي البعد الإداري ظلت الأيديولوجية، هي المقياس الذي تقاس على أساسه كل المعطيات، ولم نصل بعد إلى مفهوم دولة المواطن، أو الإدارة البيروقراطية، التي تخدم الجميع بغض النظر عن الخلفيات الدينية والسياسية والأيديولوجية للمواطنين، وهذا ما انعكس على العملية السياسية برمتها، فالحملات الانتخابية في العراق لم تتحرر بعد من الانتهاكات وتوزيع التهم

والمزايدات والشعارات التي لا تغني عن الحق شيئًا، ومن المفروض أن تكون العملية الانتخابية والسياسية محكومة بتقديم المشاريع الخدمية والعلمية وغيرها، وليست الأوراق الشائكة والأجندة الخفية.

إن الحالة السياسية في العراق قد أثرت سلبا على الإقليم، كون الإقليم شريكا في العملية السياسية، خاصة وأن للكورد نوعا من الشراكة السياسية مع الشيعة، وذلك لما للطرفين من تاريخ مشترك في مواجهة شمولية النظام السابق، إلا أن الشراكة السياسية مع الشيعة لم تكن يوما شراكة استراتيجية قائمة على أساس المصالح الوطنية المشتركة، بل على العكس كانت شراكة قائمة على مصالح فئوية وحزبية لم تفرز الاستقرار والمؤسساتية في العلاقات السياسية بين الإقليم والطرف السياسي الحاكم في بغداد، فالأزمات بدأت بالظهور في عهد (الجعفري)، وظن الكورد أن شخصية (الجعفري) هي العلة وراء أزمات المركز والإقليم، وبدأت الدعوات تعلو باتجاه تغيير (الجعفري)، إلا أن تغيير الوجوه لا يعد المقياس في اللعبة السياسية، وإن شخصنة المصالح السياسية، هي التي تؤدي بنهاية المطاف إلى تجديد الأزمات وتعميقها وتطورها إلى أزمات جوهرية، قد تنعكس آثارها سلبا على التجربة الكوردية برمتها.

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل الأزمة بين بغداد والإقليم أزمة دستورية، أم سياسية؟ أو أن ما يجري عبارة عن مناورة بين الطرفين لكسب صوت الشعب في الانتخابات القادمة، خاصة وأن الجو السياسي لدى الطرفين لا يبشر بكثير من الخير؟

إن الأزمة السياسية والاقتصادية التي تعصف بالمناخ السياسي العراقي تعبر عن خلفية دستورية تعمق من الأزمة الراهنة، وتغذي أزمات لاحقة وفق المقاييس السياسية والمعطيات بين الإقليم وبغداد. إن العراق يعيش أزمة دستورية بكل المقاييس، ليس فقط بين الكورد وبغداد، ولكن في النظام السياسي العراقي برمته، فالدستور الجامد الذي صوت عليه الشعب العراقي في ٢٠٠٥ يحمل في طياته الكثير من الثغرات والفقرات المطاطية التي تحمل أكثر من معنى، ويسهل استخدام بنود هذا الدستور من قبل الأطراف السياسية في إدارة اللعبة السياسية بين الكيانات المتباينة، فالانتخابات التي جرت في ٢٠١٠ والتلاعب بالنتائج والتفسيرات المضحكة لفقرات الدستور، قد أدى إلى إبعاد الطرف الفائز، وتشكيل الحكومة من قبل الطرف الخاسر، تحت ضغط إقليمي وإصرار داخلي . إذن إن الأزمة

الدستورية في العراق هي التي تخلق الأزمات الأخرى، فعلى سبيل المثال الحملات العسكرية التي يقوم بها الجيش العراقي في (الأنبار)، هل تجري وفق إطار دستوري، بحيث تستخدم الجيش بمهنية في التعامل مع الجماعات الإرهابية، أم أن ذلك يجري وفق لعبة سياسية يتم من خلالها التلاعب بحياة المدنيين العزل في المناطق المنكوبة ضمن المربع السني، وفي نفس الوقت يجري الآن التلاعب بقوت الناس من خلال افتعال أزمة مالية مع الإقليم، الأمر الذي أدى إلى خلق حالة من اللااستقرار الاقتصادي المزمن في الإقليم، فالأزمة السياسية والاقتصادية والأمنية في العراق، في الوقت الراهن، هي مجرد إفرازات للأزمة الدستورية وعدم سير السلطة السياسية على الأساس الدستوري الذي قام عليه العراق ما بعد صدام. ونظرا لتكرار الأزمات بين فترة وأخرى، فإن المشهد السياسي يعبر عن تبني سياسة خلق الأزمات من قبل الحكومة العراقية، لأن الانتكاسات السياسية والاقتصادية في العراق تظهر حجم الفشل السياسي، الأمر الذي يفتح الباب أمام الأساليب غير الصحية في إدارة العملية السياسية.

إن الإقليم تحمل جزءا من المسؤوليات السياسية والاقتصادية في التعاطي مع الأزمات، وكذلك طبيعة العلاقات السياسية بين بغداد والإقليم، فالسلطة الكوردية قد اقتنعت بالحلول المرحلية، ولم تفهم اللعبة السياسية إلا بعد فوات الأوان، إن (المالكي) يتحرك وفق أجندة خارجية، ووفق معطيات وأوراق تفوق قدرة الإقليم، وكذلك يصعب التقليل من الأوراق التي يستخدمها (المالكي) في سبيل احتكار السلطة والنفوذ السياسي، فالإقليم لا بد وأن يغير العقلية السياسية في التعامل مع المركز، ولا بد من وجود رؤية سياسية كوردية واضحة للتعامل مع الأزمات التي تعصف بالإقليم جراء السياسات الشمولية التي يتبناها المركز، ومن أجل تحقيق ذلك لا بد من مأسسة العلاقات الكوردية مع بغداد، والتحرر من العلاقات الحزبية مع المركز، فلا يخفى على المواطن الكوردي تقسيم الأحزاب بين المحاور في الشرق الأوسط، وتأثير تلك المحاور على الداخل العراقي. إذن الإقليم بين رهانات الداخل وتهميش الخارج يعبر عن حالة الأزمة الحقيقية، خاصة وأن الكثير من الأطراف الدولية والإقليمية رفضت تقديم يد العون للكورد، واستمرت تلك الأطراف الدولية باحترام ما يسمى بالمواثيق والأعراف الدبلوماسية، من خلال التعامل مع المركز، واعتبار الإقليم جزءا من العراق، وأن المسالة برمتها داخلية لا شأن لأحد فيها ☐



النهضة وتجديد الفكر الديني

هفال برواري

من يقرأ التاريخ يجد أن سقوط الخلافة العثمانية، سبقه استنزاف طاقاتها، وتشتيت وحدتها من الداخل، عن طريق أهل الحجاز، عندما استطاع ما يسمى بـ(لورانس العرب/ توماس إدوارد لورانس) الجاسوس البريطاني، والذي استطاع أن يقنع الشريف حسين بن علي أن يقف مع بريطانيا والحلفاء ضد العثمانيين، مقابل تحقيق حلمه بدولة عربية موحدة تحت إمرته، حيث كان من مهامه دعم ثورة عربية كبرى، يقطعون بها أوصال الدولة العثمانية، ويوقعون الخلاف بين العرب والترك، ويفتحون الطريق أمام الصهيونية إلى فلسطين ..واستطاعت القبائل العربية، بمساعدة ضباط المخابرات البريطانية، تفجير سكة قطارات الحجاز، التي كانت تغذي الجيش التركي في الحجاز، وطردوا الأتراك من الجزيرة العربية، ومن دمشق وحلب عام ١٩١٩ .. هذه التعهدات كانت تغطية للخداع البريطاني على العرب، فقد كانت لبريطانيا مخططات مع حليفتها فرنسا لاقتسام المنطقة، وأيضا" إقامة وطن يهودي على الأراضي العربية آنذاك، لضمها إلى الممتلكات الاستعمارية، عن طريق اتفاقية (سايكس بيكو)، على أرض فلسطين، تحت الحماية البريطانية.. ومعروف أن الأتراك حاولوا جذب الشريف حسين بعد افتضاح الاتفاقيات السرية بين بريطانيا وفرنسا، لكنه استمر في التعاون مع بريطانيا والحلفاء، الذين كانوا يمولون جيشه من الخزينة المصرية، ويزودونه بالسلاح والخبراء أمثال (لورانس العرب). وقد

كشف (لورانس) عن هذه الخدعة التي قام بها، في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة)، وفضح نفسه، حين قال: لو قيض للحلفاء أن ينتصروا، فإن وعود بريطانيا للعرب لن تكون سوى حبر على ورق ، ولو كنت رجلاً شريفاً وناصحاً أميناً، لصارحتهم بذلك، وسرحت جيوشهم، وجنبتهم التضحية بأرواحهم في سبيل أناس لا يحفظون لهم إلاً ولا ذمة!! وقوله : أما الشرف، فقد فقدته يوم أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودهم ، وقوله : لقد جازفت بخديعة العرب، لاعتقادي أن مساعدتهم ضرورية لانتصارنا القليل الثمن في الشرق، ولاعتقادي أن كسبنا للعرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار! ومن ذلك قوله : إني أكثر ما أكون فخراً أن الدم الإنكليزي لم يسفك في المعارك التي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنكليزي واحد، لقد جازفت بخديعة العرب لأنني كنت أرى أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار!! نعم لم يفوا بكل عهودهم، وخانوا الشريف، بل استبدلوه بآل سعود المدعوم منهم أيضا، والذي يتربع على العرش منذ قرن من الزمان، ولم يكن للشريف إلا: (الملك فيصل)، الذي سحله أهل العراق، ومن كان في المملكة الأردنية، التي تعتبر دولة تعيش على المساعدات، وخطا أمنيا عازلا لأي قوة تهدد أمن إسرائيل، أو مهجرا للبقية الباقية من من عرب فلسطين! وهذه الحكومة الجديدة، التي تربعت على منطقة الحجاز، كونت لها دولة بعد التقسيمات، وسميت باسم قبيلة واحدة، بل عائلة واحدة، وهي آل سعود (وما دولة السعودية إلا اسم قبيلة !)، الذين قاموا بتحالف استراتيجي خارجي، مع الغرب، يضمن لها النفط المكتشف في حدودها، مقابل استتباب حكمها، وتحالف استراتيجي داخلي، مع فكر أسلامي بدوي، ادعى (السلفية) في التفكير والاعتقاد، مقابل حمايتها "شرعا" من أي مخالف كان، وهي بدورها تضمن لها الدعوة في ديارها، وإزاحة كل منافس لها في الميدان! وقد عانى العرب قرنا من الزمان، تحت ظل حكومات دكتاتورية، تقمع كل من يخالف هواها وتطلعاتها، والتي كانت كثمرة للبذرة المغروسة من قبل التيار البدوي، المتجذر في عقول مسلمي الشرق، والتي حصدت استعمارا "غربيا"، ثم هذه الحكومات المدعومة منها بالأدلة الشرعية! وما أن قامت

الشعوب - بعد هذه المدة من الزمان- بالثورة على هذه السلطات القابعة على رقابها، بصورة أرعبت الغرب، فما كان له إلا أن يستنجد بالأصدقاء القدمى، الذين كان لهم عليهم الفضل في استتباب سلطتهم، و نشر فكرهم، فما كان منهم الا أن يلبوا طلباتهم لطمس أي بوادر تتحرر فيها الشعوب، فكانت مليارات الدولارات تتدفق إلى الدولة الجارة (مصر)، والتي تعتبر مصدر النهضة في تلك المنطقة، لكي يعيدوا العهد االشوفيني القديم، ويقف العوام من السلف الموالين حيارى أمام تحالف أعتى نظام قمعا تجاه أي مشروع إسلامي، مع أعتى نظام إسلامي (سلفي) متشدد، تشددا يصل إلى تحريم حلق اللحى، لتقربهم الشديد إلى الله، حسب معتقدهم المشبوه؟؟ واستطاعوا بماكنتهم المالية الجبارة، أن يسقطوا هذه الثورة لشعوب كانت تأن لرغيف خبز .. وقاموا بقطع أواصر النهضة لتاريخ الأمة، والتي كانت شفرة نهضتها بالتحالف والتكاتف مع القوة القابعة في (تركيا)، كمركز استراتيجي حيوي، وكقوة لا يستهان بها، مع أكبر موقع استراتيجي حيوي لنهوض أمة كاملة بعينها، ألا وهي (مصر) .. نعم كانت الحجاز منذ ما يقارب القرن، وحتى الآن، هي الورقة الرابحة للغرب لشل أي حركة نهضوية في المنطقة، والغريب أن ذلك يتم من دون أي مردود يعود إليهم بالنفع، إلا مصالح شرذمة من أبنائهم وبني عمومتهم!

ويبدو أن عقليتهم البدوية القائمة على هذه الرؤية لم تتغير، لهذا فمطامحهم رخيصة جدا.. وكل مقارب للأحداث، يجد أن هذا التيار قد تم تفعيله قبل عقود من الزمان في كل بلد، بعد نجاح فكرتهم في تمزيق البلدان، وتشتيت أفكار المسلمين، بسبل، منها: ١- كفكر جهادي مشبوه، وما رأيناه فيما حصل في بلدان أواسط آسيا، خير دليل، فعمت الفكرة على كل دولة تريد التخلص من ظلم الحكومات الدكتاتورية الظالمة، وهاهم الآن قد أصبحت أوراقهم بيد الغرب، ومن لف لفهم مثل (إيران)، فـ(القاعدة) أصبحت أغلب أوراقها بيدهم، وما يسمى الآن بـ(داعش) قد تصدرت الإعلام، وهي التي تمرر مشاريع المستعمرين الجدد بكل دقة، واستطاعت إنقاذ النظام السوري القابع على رقاب الناس من السقوط حتى الآن، وأدخلت النظام في قائمة أن بديله هو الإرهاب!.. ثم تحولوا إلى مناطق السنة في العراق،

بعد مظاهرات مدنية سلمية في (الرمادي) و(الأنبار)، ما يقارب العام، وقاموا بتحويلها إلى مرمى لنيران المالكي، ومن ورائه نفوذ إيران! وهاهم الآن يزحفون حسب المخطط إلى حدود (كركوك)، وأطرافها، كما يريده صاحب المقام وآل البيت الكرام !! ومن ورائهم نفوذ الغرب، ومن بعده، فجنوده يزحفون للتخلص من بؤر الإرهاب والسيطرة على مناطق تابعة لإقليم كوردستان! ٢ - أو كفكر سلفي مدني، مهمته فقط هو الصد لكل تيار إسلامي نهضوي، يؤمن بتغيير سلمي في البلاد، وما نجده من جماعات مدعومة من قبل آل سعود، وبتنسيق مع حكومات تلك البلدان، يقومون بتنشيط حركتهم بكل دولة، وبدون منع، بل كل الأبواب تفتح لهم بالمجان، وهذه الحالة موجودة في كل بلاد، من أواسط آسيا، إلى بلداننا، وكل حركة إسلامية تأنّ من عائق تشتيت الأفكار من قبلهم، باسم اتباع سنة خير الأنام!! هذا ما جنيناه من فكر البداوة، ومن نهج ما يسمونه بـ(السلف).. سقوط الخلافة، خلف بعده استعمار، ثم حكومات ظالمة، ثم تشتيت الشعوب الثائرة بعد عقود من الظلم، بحجة التقرب من الله، وتطبيق السنة النبوية المطهرة، التي أنكرت الثورة، وجعلت المظاهرات السلمية بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، والأحزاب بدعة مضلة في البلاد، حتى يبقى صاحب الجاه والحكم متربعا على حكمه يعيث في الأرض الفساد .. أو .. جهاد علني .. لكن لكل منطقة يريد الغرب أن يدخلها، بحجة محاربة الإرهاب!! أليست هي وراء كل إجهاض نهضة للأمة، وهي الورقة الرابحة للقوى العالمية المهيمنة؟! لذلك ينبغي لنا أن نعيد صياغة جديدة لتراثنا الموروث، حتى لا نقع في منزلقات فكر البداوة، بحجة أنه أصل الدين، وما تسويقاتهم إلا مبررات لهدم الدين باسم الدين !□

الحرية دون تعليم في خطر دائم، أما التعليم دون حرية فيذهب سدى.

جون كنيدي
الرئيس الخامس والثلاثون
للولايات المتحدة الأمريكية

الفقيه والفيلسوف بين العقل والنقل


عبدالكريم يحيى الزيباري

اعترفَ أبو حامد (الغزالي)، رجل التعليم والفلسفة، الذي غلبَهُ الزهد، في كتابٍ يكاد يكون أول سيرة ذاتية فكرية، (المنقذ من الضلال): (ولاحظت أعمالي- وأحسنها التدريس والتعليم- فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة، ولا نافعة، في طريق الآخرة. ثم تفكرت في نيتي في التدريس، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه، وانتشار الصيت، فتيقنت أني على شفا جرف هار) ، فاعتزل إحدى عشرة سنة مجتمعاً مُترفاً استهلاكيًّا، يفتقد القيم، ويخوض في كلِّ شيء دون محاذير.

في (بغداد) ظهر الفلاسفة الذين يعتمدون العقل فقط، وظهر المتكلمون الذين يعتمدون العقل والنقل، وحاول (ابن رشد) التوفيق، فقال: (الله لا يمكن أنْ يعطينا عقولاً، ثم يعطينا شرائع مخالفة لها).

ارتأى (الغزالي) بدعمٍ من (نظام الملك) أنْ يخوض ضدَّ الفلاسفة حرباً فكرية، هي الأخطر في تاريخ الفكر الإسلامي، عكفَ على دراسة الفلسفة سنتين ونيِّف، كما يُحدِّث عن نفسه: (حتى وقفَ على غورها وغائلها، وأدركَ أسرارها ودخائلها، ما لم يفطن له الفلاسفة أنفسهم، وأرادَ أنْ يقيمَ على ادعائه شاهداً علمياً، فألف كتابه: " مقاصد الفلاسفة") ، الذي يعتبره الغرب أفضل تلخيص للفلسفة اليونانية القديمة، ونصحَ (الغزالي) القارئ القارئ بقراءته قبل الشروع في قراءة (تهافت الفلاسفة)، الذي أثبتَ فيه جهل (ابن سينا، والفارابي) بـ(أرسطو، وأفلاطون)، وكفَّرهما في ثلاث مسائل: قِدَم العالَم، وإنكار العلم بالجزئيات، وإنكار المعاد. في هذه الفترة كانت هذه الأفكار قد

انتشرت، إلى درجة حَفّزَت (الغزالي) للرد عليها، درءاً للخطر، وفي ردِّهِ ترك لنا تراثاً فكريَّاً، يقول عنه (سولومون مونك) في كتابه(مزيج من الفلسفتين اليهودية والعربية/١٨٥٩): إنَّ ثورة فكرية فلسفية شهدَها القرن الثاني عشر الميلادي، بدأها (أبو حامد الغزالي).

سئل (الغزالي) عن بيان معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدَّم)، هل هو ممازجة كالماء، أم هو مثل الإحاطة بالعود؟)، وأسئلة أخرى كثيرة من هذا النوع، التي تبدو في ظاهرها تناقضاً بين المعقول والمنقول، فقال: (أسئلةٌ أكره الخوض فيها والجواب، لأسباب عدَّة، لكن إذا تكررت المراجعة، أذكر قانوناً كلياً، يُنتفع به في هذا النمط)، فقسم الخائضين في هذا الأمر إلى: (مفرط بتجريد النظر إلى المنقول، مفرطٌ بتجريد النظر إلى المعقول، ومتوسطٌ طمعَ في الجمع والتلفيق)، ثمَّ قسَّم المتوسط قسمين: (من جعلَ المعقول أصلاً، والمنقول تابعاً، ومن جعلَ المنقول أصلاً، والمعقول تابعاً)، فاكتملت خمس فِرَق، يتناولها بالتفصيل والرد بالأمثلة، ثم يتناول فرقةً أخرى يسميها: (الفرقة الخامسة: هي الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول، الجاعلة كلَّ واحد منهما أصلاً مهما، المنكرة لتعارض العقل والشرع وكونه حقاً، ومن كذب العقل فقد كذَّب الشرع، إذ بالعقل عُرفَ صدق الشرع).

ويمضي شارحاً نافياً للتناقض بين العقل والنقل، بإحالة غير المتحقق عقلاً إلى المجاز، كحديث وزن الأعمال، الأعمال عَرَضٌ لا يُوزن، فلا بدَّ من التأويل، ليصير الوزن كنية عن المقدار، وذبح الموت، والموت عَرَضٌ، والأعراض لا تنقلبُ أجساماً، والموت ما له رقبة ولا بَدَن، وجريان الشيطان مجرى الدَّم، ليس المُراد كممازجة الماء للماء، بل تشبيه لسريان أثره في جميع باطن الإنسان، ونحن نصادف في قلوبنا خواطر مختلفة، الذي يحصل منه إلهام باعث على الخير من المَلَكْ، والذي يحصل من وسواس من الشيطان. ويوصي (الغزالي) قارئه بثلاث وصايا: (١- ألا يطمع في الإطلاع على كلِّ شيء، فإنَّ ذلك في غير مَطْمَع، وليتل قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)الإسراء: ٨٥. ٢- ألا يُكذِّب برهان العقل أصلاً، فإنَّ العقل لا يكذِب، ولو كَذَّب العقل، فلعله كذَّبَ في إثبات الشَّرع، إذ به عرفنا الشرع، فكيف يُعرف صدق الشاهد بتزكية المُزكّي الكاذب، والشرع شاهد بالتفاصيل، والعقل مُزكّي الشَّرع. ٣- أن يكف عن تعيين التأويل، عند تعارض الاحتمالات، فإنَّ الحكم على مُراد الله سبحانه بالظن والتخمين خطر، فإنَّما تعلم مُراد المتكلم بإظهار مرادِهِ، فإذا لم يظهر، فمن أينَ تعلم مراده؟ إلا أنْ تنحصر وجوه الاحتمالات، ويبطل الجميع إلا واحداً،

فيتعين الواحد بالبرهان، ولكن وجوه الاحتمالات في كلام العرب، وطرق التوسع فيها، كثير، فمتى ينحصر ذلك، فالتوقف في التأويل أسلم).

(ابن رشد) ردَّ على كتاب (الغزالي) مسألةً مسألة، ففي المسألة الثالثة عشرة: العلم بالجزئيات: (قال أبو حامد: مسألة إبطال قولهم إنَّ الله -تعالى عن قولهم- لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان إلى الكائن، وما كان، وما يكون... بل لا يعرف كفر زيد ولا إسلامه، وإنَّما يعلم كفر الإنسان وإسلامه مطلقاً كلياً، لا مخصوصاً بالأشخاص)، ويرد ابن رشد: (العلم بالأشخاص هو حسٌّ أو خيال، والعلم بالكليات هو عقل، وتجدد الأشخاص، أو أحوال الأشخاص، يوجبُ شيئين: تغير الإدراك وتعدده، وعلم الأنواع والأجناس ليس يوجبُ تغيراً، إذ علمها ثابت، وإنَّهما يتحدان في العلم المحيط بهما، وإنَّما يجتمعان- أعني الكلية والجزئية- في معنى التعدد...لذلك المحققون من الفلاسفة لا يصفون علمه سبحانه بالموجودات لا بكلي ولا بجزئي، وذلك أنَّ العلم الذي هذه الأمور لازمة له، هو عقل منفعل ومعلول، والعقل الأول هو عقل محض وعلة، فلا يُقاس علمه على العلم الإنساني) .

اتفقت الديانات السماوية الثلاثة على أنَّ العالَم ليس قديماً بل مُحدَث. لكن (ابن سينا) استبدلَ مصطلحي القِدَم والحدوث بالواجب والممكن، وقال: العالم موجود فهو ممكن، وبوصفه ممكناً يحتاجُ فاعلاً من خارجهِ ليوجده، فالفاعل هو المقابل المنطقي لكلِّ شيء ممكن الوجود، وهذا الفاعل هو الواجب الذي إذا استحالَ وجوده، استحال وجود الممكن، تبعاً لاستحالتهِ، والعالم الذي نعيشه واجب الوجود بغيره، أيْ أنَّ العالَم موجود قديم، والله الخالق البارئ يتقدمه بالذات والرتبة، لا تقدما بالزمان والحدوث، كتقدم العِلّة للمعلول، وهذا رأي (أفلوطين)، بينما (جالينوس) في أواخر حياتهِ قال: بأنه لا يدري إذا كان العالَم مُحدَثاً أو قديماً. وكان سؤالهم: لماذا لم يحدث العالَم مِنْ قبل؟

لكن (الغزالي) لم يسلم من التكفير، ويبدو (الغزالي) في رسالته (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) منفعلاً غاضباً مهاجماً بقوة الذين كفروه واتهموه، ولم تهدأ نبرته إلا في الفصل الثالث (مراتب الوجود وأمثلته)، حيث يقول: (اعلم أنَّ الذي ذكرناه، مع ظهوره، تحته غور، بل تحته كل الغور- الغور هنا يقصد به (الغزالي) العمق التأويلي- لأنَّ كل فرقة تُكفِّر مخالفتها، وتنسبها إلى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلّم، فالحنبلي يُكفِّرُ الأشعري، زاعماً أنَّهُ كذَّبَ الرسول في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يرد بتكفيره، زاعماً أنَّهُ مشبِّه، وكذَّب الرسول في أنَّهُ ليس كمثله شيء،

والأشعري يُكفر المعتزلي زاعماً أنّه كذَّب الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له تعالى، والمعتزلي يُكفِّر الأشعري، زاعماً أنَّ إثبات الصفات تكفير للقدماء، وتكذيبٌ للرسول في التوحيد، ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف حد التكذيب والتصديق، وحقيقتهما فيه، فينكشف لك غلو هذه الفرق، وإسرافها في تكفير بعضها البعض).

ثمَّ يقسِّم الوجود خمسة مراتب:

١- ذاتي، كالسماوات والأرض والحيوان والنبات.

٢- حسي، في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودا في الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه فيه أحد، ويتمثَّل بحديث: (يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح، فيُذبَح بين الجنة والنار)، فيكون سببا لحصول اليقين باليأس من الموت بعد ذلك، خلودٌ في الجنة أو في النار.

٣- وجود خيالي: صورة هذه المحسوسات، إذا غابت عن حسِّك، فإنَّك تقدر على أنْ تخترع في خيالك صورة فيل وفرس، وإنْ كنتَ مُغمِضَاً عينيك، حتى كأنَّك تشاهده، وهو موجود بكمال صورته في دماغك، لا في الخارج.

٤- الوجود العقلي: فهو أنْ يكون للشيء روح وحقيقة معنى.. كاليد فلها صورة محسوسة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها، وهي القدرة على البطش، أو الكرم والسخاء، وللقلم صورة، ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم.

٥- الوجود الشبهي، وهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا، لا بصورته، ولا بحقيقته، لا في الخارج، ولا في الحس، ولا في الخيال، ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه، وصفة من صفاته، كالمشاعر الإنسانية، من غضب وخوف وشوق وبغض، وفرح وحزن). وفي نهاية الفصل يقول: (فهذه درجات التأويلات)، وعنوان الفصل(مراتب الوجود)، أيْ أنَّ لكلِّ نوعٍ من الوجود، تأويلٌ خاص يختصُّ به، ولكلِّ تأويل نوعٌ من الوجود.

وأحرقت دولة (المرابطين) كتبه كافة، وحظرتها، لأنَّهُ مزجَ بين قواعد أصول المسلمين، ومنطق أرسطو، وفي نهاية القرن ردَّ (ابن رشد)(١١٢٦م - ١١٩٨م) على (الغزالي) بكتابه(تهافت التهافت)، هذه المعركة الفلسفية العلمية الأكثر شهرة في تاريخ الفكر البشري. كتب (الغزالي) في مقدمة " تهافت الفلاسفة": (أما بعد، فإني قد رأيتُ طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء، بمزيد من الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات، واستحقروا شعائر الدين.. وغير بحثٍ نظري

صادر عن التعثر بأذيال الشبه الصارفة عن الصواب، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب.. وإنما مصدر كفرهم سَمَاعهم أسماء هائلة، كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس.. فتصنعوا الكفر، لكي يتميزوا عن سواد الناس الغالب، ظناً منهم أنّ الكفر من أمارات الفطنة والعلم. وهم لو تدبروا الأمر قليلاً، وفحصوا آراء الفلاسفة، الذين تكلفوا التشبه بهم، لاتضح لهم مقدار جهلهم وشططهم، وتبين لهم اتفاق كل مرموق، من الأوائل والأواخر، على التسليم بأصول الدين الكبرى، وهي: الإيمان بالله، واليوم الآخر)□

الهوامش:

١ -(الغزالي)- المنقذ من الضلال- تحقيق جميل إبراهيم حبيب- دار القادسية- ١٩٨٤- بغداد- ص٤٢.

٢ -(الغزالي)- معيار العلم- تحقيق د. سليمان دنيا- دار المعارف- ١٩٦١- مصر- ص١٧.

٣ -(الغزالي)- قانون التأويل- تحقيق محمود بيجو- ط١- ١٩٩٣- دمشق- ص١٩.

٤ -ابن رشد- تهافت التهافت- تحقيق وتقديم وشرح محمد عابد الجابري- مركز دراسات الوحدة العربية- ط٢- ٢٠٠١- بيروت- ص٤٥٦.

للطبيعة حتمية تحكمها، وللإنسان قدَرُه والتسليم بهذا القدر هو الفكرة النهائية العليا للإسلام . فهل القدر موجود..وأي شكل يتخذ؟ دعنا ننظر في حياتنا لنرى ماذا تبقى من خططنا العزيزة على انفسنا وما بقي من أحلام شبابنا؟ ألم نأت إلى هذا العالم بلا حول لنا و لا قوة في ذلك ، ثم واجهنا تركيبتنا الشخصية ، ومنحنا قدراً من الذكاء قلّ أو كثر، وملامح جذابة أو منفرة ، وتركيبة بدنية رياضية أو قزمية ، ونشأنا في قصر ملك أو كوخ شحاذ ، في أوقات عصيبة أو زمن سلام ، تحت سلطان طاغية جبار أو أمير نبيل، وفي ظروف جغرافية وتاريخية لم يتم استشارتنا بشأنها ؟ كم هي محدودة تلك التي نسميها إرادتنا. وكم هو هائل وغير محدود قدَرُنا ؟ لقد وُضع الإنسان في هذا العالم وقُدّر له أن يعتمد في وجوده على كثير من الحقائق التي لا يملك عليها سلطانا . وتتأثر حياته بعوامل قريبة منه وعوامل أخرى نائية عنه أكثر مما يتخيل .. وكلما نمت معرفتنا عن العالم تزايد إدراكنا بأننا لا يمكن أن نكون أسياد مصائرنا . حتى مع افتراض أعظم تقدم ممكن للعلم ، فإن مقدار ما سيكون تحت سيطرتنا من عوامل لا يساوي شيئا إذا قورن بالكم الهائل من العوامل الخارجة عن هذه السيطرة . إن حجم الإنسان لا يتناسب مع حجم هذا الكون الفسيح، وعمر الإنسانية كلها ليس وحدة قياس لما يجري في هذا الكون من أحداث. وهذا هو سبب ما يعتري الإنسان من شعور دائم بالخطر ، وما ينعكس على نفسيته من حالات التشاؤم والتمرد واليأس واللامبالاة ، أو التسليم لله . إن الإسلام يجتهد في تنظيم هذا العالم عن طريق التنشئة والتعليم والقوانين التي شرعها ، وهذا هو مجاله المحدود، أما مجاله الرحيب، فهو التسليم لله.

علي عزت بيكوفيتش

أدب وفن

- أرق الغريب (شعر) الدكتور وليد الصراف



أرق الغريب

الدكتور وليد الصرّاف

أنا لَمْ أنمْ منذُ آدمَ قُلْتُ أَتَخْتَارُنِي لَوْ سِوَايَ يُقَاسِمُنَا الأَرْضَ حَوّاء؟ رَيْبٌ هَوَاهَا وَهَابِيلُ رَيْبٌ وقابيلُ رَيْبٌ وهَذِي الجِنانُ الّتِي تتأرَّجُ قَفْرُ

أنا لَمْ أَنَمْ مُنذُ هابيلَ سَالَ دَمٌ لوَّن الْعُشْبَ واسْوَدَّ فَجْرُ

وصرَّح ثار

ولَكِنَّنِي حِينَ حَامَ الغُرَابَان فَوْقِي تعَلّمْتُ كَيْفَ أُوَارِي انْتِقَامِي وقُلْتُ لِقَابيلَ عُذرُ

أنا لَمْ أَنَمْ مُنذُ قَابيلَ قُلْتُ لَقَدْ قُضِيَ الأمْر والتأمَ الْجُرْح لكنْ تَوَارَى الْغُرَابُ الّذِي كان وَارى أخَاهُ ليقبل نسرُ

ويُنبش قبرُ..

وأدْرَكْتُ أنَّ المَقَابِرَ مَفْتُوحةٌ...

هُرِعْتُ إِلَى الماءِ إذ آذَنَ الْمَوْجُ ثُمّ طَغَى قَبْلَ بَدْءِ الصَّلاةِ فَأَدْرَكَنِي فُلْكُ نُوح.. وما لُمْتُ مَنْ رَاحَ يَأْوِي إلى جَبَلٍ قُلْتُ ما أدركَ النَّسر

أبحرتُ فِي فُلْكِ نوحٍ ومِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ كَان مَعِي اثنان، وَحْدِي أنا في السفينةِ مَنْ كُنتُ وَحْدِي

وحينَ بدا البرّ لم أترجَّلْ مَعَ الرَّاكبينَ فَحُزْنِيَ بَحْرُ

ومَوْجُ الّذِي قَدْ مَضَى وانْقَضَى مُسْتَمِرّ

أنا لَمْ أنَمْ مُنذُ نوحَ عَبَرْتُ الْبِحَارَ وجُبْتُ القِفَارَ غَشَيْتُ جَمِيْعَ الْحُروب ولَمْ يَبْقَ فِيْ جَسَدِي مَوْضِعٌ دون ضَرْبَةِ سَيْفٍ وطَعْنَةِ رمْح..

هَوَتْنِي جَمِيعُ النّسَاء وخَلّدَنِي أَعْذَبُ الشُعَرَاء وأَكْذَبُهُمْ

وفِي لَمْحِ بَرْقٍ رَأَيْتُ الْقُرونَ تغَادِرُ مِنْ بَابِ لَحْظَة

وَأَدْرَكْتُ أَنَّ الْمَسَافَاتِ شِبْرٌ
وَأَنَّ الأَسَاطِيْرَ سَطْر
وَأَنَّ البَرَايا الّتي فِي الْمَرَايَا كِذابٌ كَمِثْلِ دَمٍ فِي قَمِيْص
أَنَا لَمْ أَنَمْ مُنْذُ يعقُوبَ أَيْقَظَنِي الذّئْبُ قَالَ قَدِ ائتَمَرُوا أَمْسِ كَي يَقْتُلُوا يُوسُف ويَشُوا بِي
وَهَذِي مَخَالِبِي البِيْضُ شاهِدَةٌ أَنِّي مَا قَتَلْتُ وَهِذِي نِيُوبِي
أَنَا لَمْ أَنَمْ مُنْذُ يُوسُفَ لا عَشِقَتْنِي زُلَيْخَة لا رَدَّدَتْ نِسْوَةٌ فِيْ الْمَدِيْنَةِ شِعْرِي ولا أَوَّلَ السَّجَّناءُ كَلامِي وَلا إِخوَتِي عَرَفُوا أَنَّنِي مَنْ يَكِيْلُ لَهُمْ
لَيْتَ سَيَّارَةَ الْحَيِّ مَا الْتَقَطَتْنِي ومُتُّ وَأَصبَحْتُ نَسْيَا
فَرَرْتُ إِلَى الْخَمْرِ صِرْتُ نَدِيْمَ امْرِئ الْقَيْسِ كُنْتُ أَنَا مَنْ بَنَى (حَوْمَلاً) وَ(الدَّخُوْلَ) لِيَسْتَوْقِفَ النَّاسَ بَيْنَهُمَا
وصَحَحْتُ مَا قَالَ.. قُلْتُ لَهُ: الْيَوْمَ خَمْرٌ
وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِ والْغَدَ أَمْرُ
أَنَا لَمْ أَنَمْ مُنْذُ زَمُّوا مَتَاعَ الرَّحِيْل
بَكَيْتُ الْمَنَازِل
رَثَيتُ الأَوَائِل
نَقَفْتُ الْحَنَاظِل
أَحَطْتُ بِمَا لَمْ يُحِطْ هُدْهُدٌ فِي الزَّمَانِ عَلَى أَرَقٍ أرقِي أَبَدَاً، لا مَقَاصِير نوم الْمُلُوك ولا خَيْمَة الْبَدَوِيّ ولا حُلْم قَيْس ولا نَمْرَق ابن رَبِيعَة يَوْمَاً أَشاعَ بليلي الأَمَان
نامَ عَنْ مُقْلَتِيَّ الْكَرَى وَأَضَلَّ عناوينَ سُهْدِهِمَا مَوْكِبُ الحُلْمِ مَقْبَرَة لَحْظَتِي نَامَ فِيْهَا جَمِيْعُ الّذِيْنَ عَلَى الأَرْضِ مَرُّوْا
تَزَاحَمَتِ الشّاهِدَاتُ تُكَذِّبُ كُلٌّ غَرِيمَتَهَا وَكُلٌّ تَقُولُ الصَّوَاب
تَوَهَّمْتُ أَنِّي وَقَفْتُ كَمَا نَخلَةٌ حِيْنَ كُنْتُ أَمُرُّ كَمَرِّ السَّحَاب
أَنَا لَمْ أَنَمْ مُنْذُ آدَمَ كُلُّ الشُّعُوبِ وَكُلُّ الحُرُوبِ وكُلُّ الدِّيَارْ وكُلُّ البِحَار تعنُّ سَرابَاً كأَنِّي أَرَى مِنْ مَكَانِي يَدَاً خَطّتِ الْكَوْنَ تَمْحُو
سَيَصْحُو إذا صِيحَ فِي الصُّورِ مَنْ رَقَدُوا مُنْذُ آدَمْ لَكِنَّنِيْ لَمْ أَنَمْ مُنْذُ آدَمْ لَكِنَّنِيْ لَسْتُ أَحْتَاجُ صَيْحَةَ صُورٍ لأَصْحُو!!□

مطارحات ثقافية



منظمات المجتمع المدني في العراق (الديمقراطي)

محمد صادق أمين

من المفترض أن عراق ما بعد عام ٢٠٠٣ قد أقيمت فيه جمهورية ديمقراطية على أنقاض الجمهوريات القومية الاشتراكية الثورية، بعد أن سعت القوى المعارضة لهذه الأنظمة، لتأسيس دولة ديمقراطية مدنية عصرية (كما كانت تؤكد أدبياتها) بالاستعانة بالعامل الدولي، الذي أدى إلى حرب شاملة، ترتب عليها دمار، ولدت من رحمه الديمقراطية.

المجتمع المدني ومنظماته الأهلية، هو نواة الدولة المدنية الديمقراطية، نظرا لقيام هذه المنظمات بالدفاع عن مصالح المجتمع المدني، دون الأخذ بنظر الاعتبار عوامل الدين، والقوم، والعرق، والانتساب ...إلخ، فهو عبارة عن مجموعة أو مجاميع مستقلة من الناس، لا تخضع لأي سلطة، دينية، أو عسكرية، أو سياسية، يجمعها هدف مشترك هو النضال من أجل العدالة الاجتماعية، وتحقيق السلام الاجتماعي.

وإذا نظرنا في عوامل قوة المجتمع المدني، في الدول المتقدمة، نجد أن الحالة جاءت بسبب رقي الممارسة الديمقراطية ونضج المجتمعات معا، وارتفاع درجة التفاعل والتواصل بين الدولة والمجتمع، فالدولة هي التي شجعت المجتمع على المبادرة واحتلال مواقع بقيت تحتلها منذ فترة طويلة، وسهلت قانونيا وتنظيميا نشوء مؤسسات مدنية، وقدمت لها ولا تزال تقدم لها الدعم المالي والتنظيمي والقانوني لتقوم بهذا الدور.

المجتمع المدني وهيمنة السلطة في منطقتنا

ما يميز الدولة في منطقتنا بعد انتهاء حقبة الاحتلال، هو طغيانها الكلي على مجموع المجتمع المدني، بواسطة نظام حكم شديد المركزية، يهيمن عليه حزب سياسي ذي طبيعة شمولية، اكتسب شرعيته السياسية من خلال ملكيات وراثية أقرها المحتل، أو من خلال الشرعية الثورية (الانقلابات)، التي قادها مجاميع من قادة العسكر تحت شعار التحرر من ربقة الاحتلال ومخلفاته،

فأسست جمهوريات اشتراكية سرعان ما تحولت إلى ملكيات، تقوم على نظرية الحاكم الإله الذي لا يموت، نظرا لاستمرار الحكم عبر الوريث، الذي يقود مؤسسات ذات طابع يشبه الطابع الكهنوتي الذي يمد الحاكم بالشرعية ويستمد منه الامتيازات! وبهذه الشرعية اكتسبت هذه الأنظمة أيديولوجيا شمولية إقصائية .

لذلك، فإن المشروع الذي أسست عليه دولة ما بعد التحرر (النسبي) مارس الوصاية على المجتمع المدني، وتم تأسيس مجتمع مدني ظاهريا، سلطوي فعليا، يتبع أحزاب الحكم القوية التي سيطرت على مقدرات الدولة باسم الشرعية الثورية، ثم وضفتها في الصراع السياسي لتكريس مزيد من هيمنة الحزب والفرد! الأمر الذي أدى إلى تعميق التبعية الثقافية والسياسية للخارج، وفاقم التناقضات الاجتماعية والطبقية في الداخل.

هنا نجد أنفسنا أمام سؤال مهم وخطير: هل تمكن المجتمع المدني في الجمهورية الديمقراطية العراقية بعد عام ٢٠٠٣؟.

المراقب عن كثب، ومن خاض غمار العمل في المجتمع المدني ومنظماته، أو بالقرب منه، يجد أن مؤسسات مجتمع مدني كثيرة قامت وتأسست، توصف شكليا بأنها مؤسسات مستقلة، وفعليا هي أذرع لأحزاب نافذة! فبنى هذه المؤسسات البشرية يقوم على أطر حزبية صرفة ١٠٠٪ وعناصر التوظيف والترقية والتمويل تقوم على هذا الأساس.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الدول الكبرى مولت بشكل مباشر، وغير مباشر، بناء وتأسيس منظمات مجتمع مدني في العراق، بعد عام ٢٠٠٣، من خلال منظمات كبرى دولية غير حكومية، وقد سعت الأحزاب النافذة إلى اختراق هذه المنظمات، من خلال علاقاتها الدولية، ونجحت في توظيف قدر لا يستهان به من كوادرها في قلب هذه المنظمات، وبعضهم في دوائر القرار العليا لهذه المنظمات، ومن هنا وظفت أنشطتها بشكل غير مباشر في خدمة أغراض هذه الأطراف، وفي دعم وتمويل مؤسسات مجتمع مدني تدين بالولاء لها.

هذا الواقع يجعلني أدق ناقوس الخطر، لأني أرى الدولة المدنية في طريقها لتكون في خبر كان، ولا عزاء في الديمقراطية التي لم تنتج نظاما عادلا يقدم حق المواطنة على مخلفات الثأر، والانتقام، والتبعية السياسية، والطائفية المقيتة، لذلك على العقلاء والحكماء وأهل الرأي الأخذ بزمام المبادرة لإنقاذ واقع منظمات المجتمع المدني، من خلال التقنين، والدفع بالطاقات البشرية إلى ميدان العمل بناء على الخبرة والكفاءة فقط□



- كتاب الموسيقى الكبير

نبيل فتحي حسين

كتاب الموسيقى الكبير لأبي نصر الفارابيّ



نبيل فتحي حسين

✍ أبو نَصْر محمد بن محمد بن طَرْخَان الفَارابيّ (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م) فيلسوف مسلم معروف، وهو من (الفَارْيَاب) من أرض خُراسان، أو (الفَاراب) إحدى مدن الترك فيما وراء النهر، يعده البعض فارسياً، بينما يعده آخرون تركياً، قضى شطراً كبيراً من سني حياته في (بغداد)، تخللتها فترة انصرف فيها للدراسة في (حَرّان) على (يُوحنّا بن حيلان) النصراني، قبل أن يغادر بغداد إلى حلب، فمصر، ثم دمشق، حيث توفي هناك. وصفه ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) في كتابه **"عيون الأنباء في طبقات الأطباء"** بأنه "كان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها، وأتقنها إتقاناً لا مزيد عليه"، كما أشار الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) في كتابه **"الوافي بالوفيات"** إلى "إنه أول من وضع الآلة المعروفة بالقانون". وقد ترك (الفَارابيّ) عدَّة مؤلفاتٍ في الموسيقى، أشهرها كتاب **"الموسيقى الكبير"**، الذي تقع نسخته، التي حُققت ونُشرت، في ما يزيد على ألف ومائتي صفحة، لتكون بذلك أكبر عملٍ أنجز في تاريخ الموسيقى العربية.

وعلى الرغم من أن الكتاب أُلّف بناءً على طلبٍ من الوزير العباسي (أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي) (ت ٣٤٣هـ/٩٥٤م)، إلا أن المقدمة التي كتبها (الفَارابيّ) لكتابه تتضمن اعترافاً واضحاً بأن

الموسيقى من العلوم القديمة، وأنه اطلع على بعض الكتب القديمة فيها، فضلاً عن بعض الكتب التي ألّفها قريبون من زمنه، على أمل أن يجد فيها ما يلبي طلب الوزير، ويغني عن تأليف كتابٍ في الموسيقى جديد، رافضاً فكرة الكتابة في موضوعٍ قد أُلّف فيه سابقاً، وإثبات ما أَلّفه السابقون واستوفوه، موضحاً أن مبرر الكتابة من جديد هو شرح وتسهيل الغامض مما ورد في الكتب القديمة، ومبيناً أنه وجد في الكتب القديمة جميعها "نقصاً عن تَمام أجزاء الصناعةِ، وإخلالاً في كثيرٍ مما أُثبت فيها، وجُلُّ ما نُحيَ به منها نحو العِلم النظري فقد استُعمل في تبيينه أقاويلُ غامضةٌ".

ويضيف الفَارابيّ: "على أنه يبعُد جداً عن الظُّنون، أن يكون الناظِرون من القُدماء في هذه الصناعةِ قَصَروا عنها ولم يبلُغوا إتمامَها، على كَثْرتِهم وبراعتِهم وشدَّة حِرصِهم على استنباط العلوم، وإيثارِهم لها على ما سِواها من الخَيْرات الإنسانية، وجَودةِ أذهانِهم وتداوُلِهم لها على طول الأزمنةِ، وتأمُّلِ باقيهِمْ لما استَنبطَ الماضي منهم، وتَزْييدِ الخَلَفِ على ما أنشأهُ سلَفُهم، غير أن كُتبَهم في كمال هذا الفن إما أن تكون قد بادتْ، أو أن يكون ما نُقِل منها إلى اللسان العربي كُتباً ناقصةً، وعند ذلك رأيتُ إجابتكَ إلى ما سألتَ".

وتدل مقدمة الكتاب أنه كان ملحقاً به كتاب ثانٍ، يقع في أربع مقالات، ويتضمن آراء المشهورين من الناظرين في الموسيقى، وشرح ما غمض من طروحاتهم، غير أنه لم يصلنا، ويرجح (غطاس عبدالملك خشبة)، محقق كتاب "الموسيقى الكبير"، أنه كتاب: "كلام في الموسيقى"، وهو "إما أنه مفقود، أو أنه مهمل ببعض المكتبات الخاصة".

أما مادة كتاب "الموسيقى الكبير" فتقع في جزأين: أولهما، بمثابة مدخل إلى صناعة



الموسيقى، وينطوي على مقالتين، وثانيهما في الصناعة نفسها، وينطوي على ثلاثة فنون – كل منها يحتوي على مقالتين – أولها: في

أصول صناعة الموسيقى، وثانيها: في الآلات الموسيقية المشهورة، وثالثها: في تأليف أصناف الألحان الجزئية.

يتضمن كتاب (الفَارَابيّ) إشاراتٍ إلى المغنيين والموسيقيين العرب مثل مَعبَد المَدني، وابن سُرَيج المَكّي، وإسحقُ بن إبراهيم الموصِلي، وعَلْقَمة بن عَبَدَة الشاعر، وإسحقَ ومُخارِقَ، فضلاً عن بعض السابقين من الفرس مثل "فَهْليذ" الذي عاصر كِسرى أبَرَويز بن هُرْمز ملكِ فارس، كما يتضمن نقولاتٍ عن كتب قديمة لجَالِينُوس، وأرِسْطو، وبَطْلَمْيُوس، وثامَسْطِيُوس، وزينون، وأُقْلِيدس، فضلاً عن إشاراته المتكررة إلى طروحات الفِيثَاغُوريين الذين يطلق عليهم تسمية "آل فِيثَاغُورُس"، رافضاً لتلك الطروحات أحياناً، ومقارناً بينها وبين طروحات الأرِسْتكسينوسيين الذين يسميهم آل "أرِسْطُقسانس" أحياناً أخرى.

ومن أهم ما يميز كتاب (الفَارَابيّ) هو بيانه لعلاقة الموسيقى بالعلوم الأخرى كالهندسة والعدد واللغة والبلاغة والشعر والمنطق والتعاليم.

ويبدو أن (الفَارَابيّ) كان على معرفة باليونانية، حيث أورد كلماتٍ يونانيةً للدلالة على بعض النغمات، موضحاً ما يقابلها بالعربية.

ويظهر أن (الفَارَابيّ) لم يكن يسعى إلى أن يقدم معرفةً نظريةً فحسب، بل حاول أن يفيد أيضاً المزاولين لصناعة الموسيقى، إذ يقول في حديثه عن الآلات: "ليكونَ الذي أثبتناهُ في هذا العلم غير مُقتَصَرٍ به على ما يَنتفِعُ به أصحابُ التعاليمِ وأهلُ العلومِ النظريةِ فقط، على ما تبيَّن من مقاصدِ كثيرٍ ممن أثبتَ شيئاً من هذهِ الصناعةِ في كتابٍ، لكن، ولينتفع به أيضاً المُزاولونَ لأعمالِ هذه الصناعةِ، ومن رأى إنما غايَتُه أيضاً أن تَحصُلَ له تلك الأشياءُ معلومةً بالحِسّ".

ويختم (الفَارَابيّ) كتابه بالإشادة بالوزير العباسي والاعتراف بفضله قائلاً: "هذا أدامَ الله عِزَّكَ، تمامُ الصناعةِ التي أحببتَ الاطلاعَ عليها، فقد كمُلتْ على يديكَ بعد أن كانت ناقصةً، واتضحتْ بعد غُموضِها بيُمنكَ وبركتكَ، حتى طمِعَ في إدراكِها من قد طال يأسُهُ منها، وأمكَنَتْ مَن قد كان عاجزاً عنها، واشتُهِرتْ بك فلا تُنسبُ إلا إليك ولا تُعرفُ إلا لكَ، ولا يُشكرُ على إتمامِها غيرُك، ولا يُحمدُ على إظهارها سواكَ، فبلَّغكَ اللهُ نهايةَ آمالِك في دُنياك وآخرتك" □

أخبار وتقارير

- اخبار

- تقارير

اخبار وتقارير

✍ يواصل (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) حراكه السياسي على المستويين الكوردستاني والعراقي، من خلال زيارات لأطراف سياسية، واستقبال وفود أحزاب وشخصيات ونخب، وإصدار بيانات بشأن أحداث معينة، بالإضافة إلى اتخاذ مواقف حيال بعض القضايا الداخلية والخارجية المستجدة.. التقرير أدناه يستعرض جوانب من نشاطات (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني)..

الأمين العام يبحث مع البارزاني خطوات تشكيل الحكومة

قام الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني السيد (محمد فرج)، برفقة وفد رفيع من المكتب السياسي للاتحاد، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٤/٢/١٧، بزيارة إلى رئيس إقليم كوردستان (مسعود البارزاني) في مصيف صلاح الدين بأربيل.

وتناول الجانبان خلال الاجتماع الذي استغرق زهاء الساعتين الزيارة الأخيرة لرئيس الإقليم إلى منتدى "دافوس" ونتائجها، فضلاً عن التطورات السياسية على المستوى الدولي.

واستعرض الأمين العام ورئيس الإقليم عدة قضايا كوردستانية، أبرزها خطوات تشكيل حكومة موسعة بالصورة التي تلبي طموحات مواطني إقليم كوردستان، بالإضافة إلى تعثر المفاوضات بين أربيل وبغداد، بخصوص القضايا العالقة.

وأبدى وفد (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) استعداده التام لتواصل الأطراف السياسية والتقريب بينها، بخصوص آليات تشكيل الحكومة، بالشكل الذي يعزز التجربة السياسية لإقليم كوردستان.

الأمين العام يستعرض فحوى اجتماعه مع البارزاني

هذا وتناول الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني السيد (محمد فرج) في حديثه الأسبوعي يوم الخميس الموافق ٢٠١٤/٢/١٩، والذي يبث كل خميس على قناته في (اليوتيوب)، آخر المستجدات السياسية المتعلقة بتشكيل حكومة إقليم كوردستان الثامنة، وتحدث عن ما دار في لقائه الذي عقد مع رئيس الإقليم، إلى جانب قضايا تتعلق بالخلاف القائم بين حكومة الإقليم والمركز، ومستجدات الأوضاع على الساحة في كوردستان سوريا، ورؤية (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) لمجمل هذه القضايا.

وقال سيادة الأمين العام في مستهل

حديثه: "لا شك أن الحديث الأبرز والأهم على الساحة الكوردستانية اليوم يدور حول مسألة تأخر تشكيل حكومة إقليم كوردستان الثامنة، وهذا الأمر له بعدان: الأول يتعلق بالقوى السياسية الكوردستانية الفائزة بالانتخابات، والتي لا زالت مستمرة في التفاوض والنقاش حول كيفية تشكيل الحكومة وتوزيع الحقائب الوزارية، والثاني يتعلق بقلق الشارع الكوردستاني من تأخر تشكيل الحكومة، مما انعكس سلباً على حياة الناس ومعاشهم وأوضاعهم الاقتصادية"، مضيفاً: "إن هذا الوضع المتأزم يحتاج إلى السعي حثيثاً لتسريع تشكيل الحكومة من قبل الكيانات الفائزة في الانتخابات، والتي ستجتمع بفضل الله في حكومة موسعة، تهدف إلى تشكيل حكومة وطنية قوية قادرة على خدمة شعب كوردستان، وتعزيز التجربة السياسية في كوردستان الجنوبية، لتحقيق الأهداف المشروعة لشعب كوردستان".

وعن موقف الاتحاد الإسلامي تحدث سيادة الأمين العام قائلاً: "نحن في (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) أجرينا لقائين بهذا الخصوص، الأول مع وفد الحزب الديمقراطي الكوردستاني المفاوض، والثاني مع رئيس الإقليم مؤخراً، حيث تساءلنا عن سبب تأخير تشكيل الحكومة، وطالبنا بضرورة الإسراع في تشكيلها، من خلال لقاء موسع يضم الجميع، يتم خلاله التنازل عن بعض الامتيازات، لأجل تحقيق هذا الهدف الذي يثير قلق المواطنين ويؤثر على حياتهم المعاشية".

وبخصوص استحقاقات الاتحاد الإسلامي الانتخابية أشار بالقول: "إننا طالبنا بأن نأخذ وزارات فاعلة يمكن من خلالها أن نقدم الخدمة لشعب كوردستان ضمن إمكاناتنا وقدراتنا، ونحن قادرون على أن نقدم نموذجاً حضارياً في التنافس الشريف على خدمة الشعب، بحيث يكون هذا التنافس الحميد نموذجاً مثالياً لتجربة كوردستان في هذه المرحلة، لكي يتضح من هو الأقدر على تقديم الخدمة".

الخلافات بين حكومة الإقليم والمركز

كان المحور الثاني الذي تطرق إليه الحوار مع رئيس الإقليم، وبخصوصه ذكر السيد (محمد فرج): "طرحنا وجهة نظرنا على رئيس الإقليم، وقلنا بصراحة إننا ضد اخضاع الحقوق الدستورية لشعب كوردستان للتفاوض والضغوطات السياسية، فمسائل ميزانية الإقليم، والبيشمركة، والنفط والغاز، لها نصوص دستورية واضحة لا بد أن تطبق وفق القواعد الدستورية، لا تفاوض حولها، فمسألة تأخر إقرار الميزانية أثرت على حياة الناس ومعاشهم، ولم يعد لدى المواطن القدرة

على المزيد من التحمل بسبب تأخير صرف الرواتب وتأثر الاقتصاد سلباً".

وبخصوص مشكلة النفط والغاز أوضح الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني: "إننا اقترحنا تشكيل لجنة خاصة بين الاقليم والمركز لحل المشكلات العالقة بين الطرفين في هذا الملف، وتشكيل لجنة خاصة للإشراف على التصدير والواردات، ويمكن أن يكون لهذه الواردات صندوق خاص على غرار صندوق الـ (FI)، الذي كانت تودع فيه عائدات النفط العراقي في مرحلة سابقة، إذ يمكن تأسيس صندوق خاص لواردات نفط الإقليم على أن يتم ربطه بمصارف كوردستان، وبما يضمن نسبة ١٧٪ من حصة الإقليم المنصوص عليها دستورياً، ولا بد في هذا الصدد من إقرار قانون النفط والغاز العراقي، كما حصل في كوردستان، لحل هذه المشكلات التي تتكرر كل عام في هذا التوقيت عند مناقشة إقرار الميزانية الاتحادية".

الأوضاع في كوردستان سوريا كانت هي المحور الثالث الذي تناوله لقاء وفد (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) برئيس الاقليم، وبخصوصه قال سيادة الأمين العام: "أعربنا عن أسفنا الشديد لوجود ثلاث توجهات من مجريات الأحداث في كوردستان سوريا، الأول مؤيد ومساند بالمطلق للانقسام الحاصل بين القوى السياسية الكوردية، والثاني معارض بالمطلق، والثالث الذي نحن معه، والذي يتلخص بضرورة وجود إدارة ذاتية للمناطق الكوردية، بشرط أن تتوحد جميع القوى السياسية في كوردستان في هذه الإدارة دون إقصاء أو تهميش، وهذا هو الضمان الوحيد لشعب غرب كوردستان سوريا".

ويستقبل السفير الإيراني في العراق

استقبل الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (محمد فرج) بأربيل يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٤/٢/١٨، السفير الإيراني في العراق (حسن دانائي فر) والوفد المرافق له. وحضر اللقاء كل من (سعيد علي عبو) مساعد الأمين العام، والدكتور (محمد أحمد) عضو المكتب السياسي للاتحاد الإسلامي الكوردستاني.

وفي أجواء ودية تناول الجانبان العديد من القضايا التي تشغل الساحة السياسية الكوردستانية، لا سيما الحكومة المرتقبة، والعراقيل التي تواجه تشكيلها، بالإضافة للتطرق إلى أوضاع العراق ومسائل أخرى ذات اهتمام مشترك.

من جانبه ثمن السفير الإيراني (حسن دانائي فر) جهود (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) في التقريب بين الأطراف السياسية.



ويشارك في مراسم ذكرى الثورة الإيرانية

شارك الأمين العام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (محمد فرج)، وبرفقة (فرهاد ملا صالح) عضو المكتب السياسي ليككرتوو، في احتفالات الذكرى السنوية الخامسة والثلاثين للثورة الإسلامية الإيرانية بأربيل، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٤/٢/١٨، والتي حضرها جمع من المسؤولين الحكوميين والحزبيين.

وأشار سيادة الأمين العام (محمد فرج) خلال تهنئته بهذه المناسبة إلى ضرورة توطيد العلاقات بين الشعبين الإيراني والكوردي بإقليم كوردستان.

مهرجانات جماهيرية للاحتفاء بذكرى إعلان يككرتوو

انطلقت في محافظات أربيل والسليمانية ودهوك احتفاليات جماهيرية حاشدة بمناسبة الذكرى السنوية الـ ٢٠ لإعلان الاتحاد الإسلامي الكوردستاني.

وانطلقت فعاليات المهرجانات الجماهيرية، التي نظمتها مراكز وفروع "يككرتوو" في المحافظات الثلاث وتوابعها، بحضور عدد كبير من قيادات وأعضاء وكوادر الاتحاد الإسلامي، بالإضافة إلى جموع غفيرة من مؤيدي "يككرتوو".

واستهلت المهرجانات بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، بعدها جرى تقديم كلمات أشادت بالتاريخ النضالي والإصلاحي للاتحاد الإسلامي الكوردستاني. كما وتخللت المهرجانات فعاليات متنوعة تضمنت إلقاء قصائد وأبيات شعرية وعرض لوحات فنية، فيما صدحت حناجر المنشدين بالأناشيد والأغاني ابتهاجاً بالمناسبة.

بيـــان

إعداد: المحرر السياسي

✍ أصدر المكتب السياسي للاتحاد الإسلامي الكوردستاني بياناً في ٢٠١٤/٢/٦ بمناسبة الذكرى السنوية الـ ٢٠ لإعلان الحزب، شدد فيه على مواصلته لمسيرته السياسية والفكرية والوطنية، مذكراً بالقول إنه "أصبح تلك القوة التي ترنو إليها اليوم أنظار الآلاف من جماهير شعبنا، يعلقون عليها آمالهم، ويدعمونها، وينصرون مشروعها الإصلاحي الوطني".

وأكد الاتحاد الإسلامي أنه يعاهد جماهير كوردستان، بكافة أطيافها ومكوناتها وشرائحها، بالمضي في النهج الإصلاحي الخدمي، وفي الدفاع عن حقوقهم وحرياتهم.. "ومواصلة النضال

السياسي المدني من أجل تجسيد وبلورة مجتمع وسلطة عادلة، تقوم على احترام مواطنيها".

وشدد (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) أيضاً على أنه سيظل خميرة التعايش السلمي والسلم الأهلي، متابعاً: "وسيظل صراعنا السياسي وتنافسنا الحزبي – مهما اشتدت حرارته وارتفعت وتيرته – تحت سقف حماية الكيان السياسي للإقليم، وأمن مواطني الإقليم، والحفاظ على الممتلكات والمؤسسات العامة".

وأشار (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) في بيانه إلى أن العام الماضي من عمر الحزب كان عام إتمام سلسلة السنوات الأربع من النضال، ضمن مربع المعارضة الكوردستانية، كقوة مدافعة عن حقوق المواطنين. مبيناً أن انتخابات البرلمان الكوردستاني كانت محطة أخرى من محطات الحياة السياسية للإقليم، وقد اجتازها الاتحاد الإسلامي مع باقي القوى والأحزاب السياسية الأخرى، موضحا: "إن نتائج أصواتنا في الانتخابات البرلمانية الكوردستانية كانت مفاجئة لنا، وكانت موضع قلق تنظيماتنا وشبابنا وجماهيرنا، ولكن بالمقابل فإن زيادة عدد مقاعدنا في البرلمان الجديد، كانت أمراً ملحوظاً".

وتابع الاتحاد الإسلامي في بيانه قائلاً: "الآن، وإذ أبدينا رغبتنا – نحن وباقي الأطراف الأخرى الفائزة في الانتخابات البرلمانية – في المشاركة في حكومة الوحدة الوطنية، ذات القاعدة العريضة، فإننا نأمل أن تكون هذه الحكومة الجديدة في الإقليم، مختلفة تماماً عن حكومات العهود السابقة، حكومات المناصفة وازدواجية الإدارة والاتفاقيات الاستراتيجية، وأن تكون بداية جديدة للتطوير والتنمية، وترسيخ ديمقراطيةٍ تعددية حقيقية، وتمثيلِ حكومةِ الإرادة السياسية الواحدة، للقضاء على بقايا وآثار ازدواجية الإدارة، لكي تستطيع بمعاونة ودعم جميع الأطراف المشاركة، وعن طريق برامج عملها، والبرنامج السياسي للحكومة، من القيام بمواجهة ومحاربة الفساد، وبالنضال الحقيقي في ميدان الإصلاح، وتثبيت سيادة القانون، لتكون في مستوى طموحات ومطالب واحتياجات شعب كوردستان".

وزاد الاتحاد الإسلامي بالقول: "نؤكد مجدداً، على أهمية وضرورة الحرية وحرية التعبير، كسمة مشرقة من سمات الوجود الديمقراطي في مجتمعنا، وضرورة المحافظة على حياة وكرامة الصحفيين ونشطاء المجتمع المدني، كما ونجدد إدانة اغتيال الصحفيين، ونطالب المحاكم ببذل كل

جهودها للكشف عن المتورطين ومجازاتهم على جرائمهم".

وتطرق الاتحاد الإسلامي في بيان مكتبه السياسي بمناسبة الذكرى السنوية الـ ٢٠ لإعلان الحزب إلى (المؤتمر القومي الكوردي) المرتقب عقده بإقليم كوردستان قائلاً: "طرحنا نحن كطرف رئيس رؤيتنا حول أهمية وضرورة عقد هذا المؤتمر القومي، وكنا نرى أن هذا المؤتمر بالنظر إلى الظرف التاريخي الحالي للنضال الوطني، وبالنظر إلى الظروف الموضوعية الإقليمية، والمتغيرات الدولية، فإنه يستطيع أن يكون الإطار العام الوطني الجامع لكافة القوى الكوردستانية، وأن يحتضن واجب تعيين الخطوط الاستراتيجية لمسيرة واتجاه قضية الشعب الكوردي في كافة الأجزاء".

وفيما يتعلق بالأوضاع في العراق، عبّر الاتحاد الإسلامي عن أسفه وألمه الشديد من استمرار العنف والإرهاب والقتل، واضطراب الأوضاع الأمنية، حيث تتسبب يومياً بالعديد من الأحداث المؤسفة، التي تؤدي إلى مقتل المواطنين المدنيين الأبرياء.

وفيما يخص الأوضاع الأخيرة في وسط العراق، شدد على أنه: "مع اعتقادنا التام بحق المواطنين في التظاهر والاحتجاج السلمي المدني، كحق قانوني ودستوري، فإننا نقف ضد استعمال القوة والعنف من أي جهة كانت، وننظر بقلق إلى المآل الذي صارت إليه تظاهرات أبناء المنطقة السنية، والتي أصبحت سبباً لمقتل وتهجير أعداد كبيرة من المواطنين".

وطالب الاتحاد الإسلامي الحكومة العراقية، والمسؤولين العسكريين والأمنيين، أن يتعاملوا مع القضية بروح المسؤولية، وأن لا يسمحوا للأمور أن تنزلق إلى منزلق الحرب الطائفية، التي ستكون عواقبها وخيمة على كافة الأطراف، داعياً في الوقت نفسه جميع الأطراف، لإنهاء هذا الفصل المخيف من العنف والاغتيالات وسفك الدماء في العراق، وإلى معالجة الأمور والمشكلات بالالتزام بأولويات الحوار الوطني، والعودة إلى الدستور، والالتزام بالحلول القانونية.

ولفت الاتحاد الإسلامي إلى بذله جهوداً على مستوى القضايا الوطنية الكوردستانية، على مستوى المنطقة، قائلاً: "محاولاتنا مستمرة لإنجاح عملية السلام والوصول إلى حل ديمقراطي وسلمي لقضية شعبنا في كوردستان الشمالية، عن طريق الاتصال المباشر بأطراف القضية، وذلك بهدف نزع ورفع العقبات والمعوقات أمام الحوار"، آملاً أن تكون هذه العملية في مصلحة تحقيق أهداف الشعب الكوردي،

وفي مصلحة السلم والاستقرار لعموم الشعب التركي.

وتابع الاتحاد الإسلامي: "طرحنا رؤيتنا حول المسألة الكوردية في غرب كوردستان، أي كوردستان سوريا، بكل وضوح وصراحة، حيث حذرنا إخوتنا في الأحزاب والمنظمات السياسية في كوردستان سوريا، ودعوناهم إلى أن يتجنبوا بكل قواهم التنازع والصراعات والانفراد بالساحة، وعدم قبول الآخر، ورفع السلاح في وجوه بعضهم البعض.

وأعرب الاتحاد الإسلامي عن قلقه من ذلك التشرذم والانقسام الموجود في صفوف القوى والأحزاب السياسية في كوردستان سوريا، مؤكداً دعمه للشعب الكوردي هناك مادياً وسياسياً، وتأييده خيار أبناء الشعب السوري الثائر.."أياً كانت الطريقة أو الوسيلة التي يرونها مناسبة لتحقيق مصالح شعبهم".

وأشار الاتحاد الإسلامي الكوردستاني في بيان مكتبه السياسي بمناسبة ذكرى الإعلان إلى أوضاع الشرق الأوسط وثورات الربيع العربي، والثورات المضادة، ومجمل الأوضاع الحالية، مؤكداً دعمه للشعوب الثائرة، ووقوفه ضد كل صور الانقلاب والثورات المضادة، ورفضه لقمع الشعوب وعدم احترام الآليات الديمقراطية.

ودعا الاتحاد الإسلامي في ختام بيانه القوى الإسلامية إلى تطوير نضالها المدني السلمي.. "ليثبتوا مرة أخرى أنهم هم الممثلون الحقيقيون لإرادة شعوبهم الحرة"□

كوردستان تحيي الذكرى الثالثة لأحداث السابع عشر من شباط

إعداد: محرر الصفحة

✍ أحيا مواطنون، ومنظمات مجتمع مدني، وهيئات شبابية، في معظم مدن الإقليم، الذكرى السنوية الثالثة لانطلاق التظاهرات في ميدان "آزادي/ الحرية" بالسليمانية، وبقية ميادين الحرية في كوردستان.

تنظيم فعاليات إحياء للذكرى

ونظم طلاب كليات الجامعة، وعدد من نشطاء المجتمع المدني، يوم الإثنين ٢٠١٤/٢/١٧، فعاليات مختلفة بمدينة (السليمانية)، إحياءً لذكرى تظاهرات ١٧ شباط، التي انطلقت من المدينة نفسها، في عام ٢٠١١، للمطالبة بإجراء إصلاحات في نظام الحكم القائم بإقليم كوردستان.

وتضمنت الفعاليات وقفات وتجمعات في عدد من المناطق بـ(السليمانية)، مستذكرين خروج المواطنين في ذلك اليوم،

قبل ثلاثة أعوام، وهم يطالبون بمكافحة الفساد، وإنهاء الاحتكار السياسي، والتوزيع العادل للدخل والثروة في كوردستان.

وعبر المشاركون في الفعاليات عن قناعتهم بأن تظاهرات ١٧ شباط كانت هبة شعبية كوردية، في مواجهة سطوة سلطة الحزبين الحاكمين، وكانت انعكاساً لإدارك ووعي شعب إقليم كوردستان بضرورة الإصلاح والتغيير، تماشياً مع مقتضيات العالم المتمدن والحر، خاصة عقب نجاح ثورات الربيع العربي في الإطاحة بأنظمة استبدادية، وإقامة سلطات حقيقية، تعبر عن الإرادة الجماهيرية الحرة للشعوب الإسلامية، والعربية، في المنطقة.

وكانت تظاهرات عارمة قد انطلقت في ١٧ شباط من العام ٢٠١١ بمدينة (السليمانية)، وازداد عنفوانها لتشمل أغلب المدن والحواضر الكوردية، تعبيراً عن الرفض للسلطوية والفردية، وغياب العدالة، والفساد المستشري في مؤسسات الحكم في الإقليم. وطالب المتظاهرون على مدار ٦٢ يوماً سلطة الحزبين: (الاتحاد الوطني والحزب الديمقراطي) بالشروع في إصلاحات جذرية وشاملة في النظام السياسي والإداري بكوردستان.

وشارك الآلاف من المواطنين، ومن مختلف الفئات العمرية والمستويات الاجتماعية والتنوعات الفكرية والانتماءات الآيديولوجية، في التظاهرات بميدان (سراي آزادي) بـ(السليمانية)، الذي أضحى منطلقاً لخروج تظاهرات في بقية المدن الكوردستانية.

وشهد هذا الميدان اندماج مختلف الطيف الكوردستاني، من علماء دين أجلاء، وأساتذة جامعات، وشخصيات أكاديمية، وطلبة مدارس، وجامعات، وحتى شريحة النساء، جمعهم هدف واحد هو الإصلاح والتغيير. كما وشهد الميدان، وبقية ميادين التظاهر في مدن الإقليم، إقامة خطب وصلاة الجمعة، حيث ألقى العديد من العلماء الأفاضل خطباً، شددت على رفض الظلم، والوقوف بوجه الاستبداد، مع الحفاظ على النهج السلمي والمدني والحضاري، في التعبير عن المطالب العادلة.

وكان لعوائل ضحايا أحداث ١٧ شباط، دور بارز في المشاركة بتظاهرات ميدان (سراي آزادي)، وهي التي أوقدت بكلماتها، التي ألقتها في جموع المتظاهرين، جذوة الحماسة والثبات، حتى تتحقق المطالب الشعبية في الإصلاح والتغيير المنشود.

كتلة "يككرتوو" توجه تحية للجماهير في ذكرى تظاهرات ١٧ شباط

وجهت (كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني)، في (برلمان كوردستان)، رسالة إلى جماهير كوردستان، بمناسبة الذكرى

السنوية الثالثة لاندلاع تظاهرات واحتجاجات السابع عشر من شباط.

وجددت كتلة "يككرتوو" في رسالتها، التي تلقت (الحوار) نسخة منها، مواساتها لأهالي شهداء وضحايا أحداث السابع عشر من شباط، وما تلاها من تظاهرات في مدينة السليمانية، ومعظم مدن الإقليم.

وعبّرت الكتلة عن أملها في أن تشكل المطالب الشعبية، التي خرجت من أجلها الجماهير في شباط من عام ٢٠١١، جزءاً أساسياً من برنامج عمل الحكومة الموسعة، المرتقب تشكيلها بإقليم كوردستان. كما وأملت كتلة "يككرتوو" أن تقوم رئاسة برلمان كوردستان، حال اختيارها في الدورة الجديدة، بإدراج المادة (٢)، التي أقرها البرلمان في دورته السابقة، والمتعلقة بأحداث ١٧ شباط.

الأمين العام السابق ليككرتوو: ثلاث سنوات مرت على أحداث شباط، وحال الإقليم كما هو!

قال الأمين العام السابق للاتحاد الإسلامي الكوردستاني (صلاح الدين محمد بهاء الدين)، في رسالة وجهها بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة لأحداث ١٧ شباط: إن الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية كما هي، لم تتغير، رغم مرور ثلاث سنوات على المطالبات الجماهيرية، والخروج الشعبي في تظاهرات، في غالبية مدن إقليم كوردستان، في شباط عام ٢٠١١، التي خرجت فيها جموع الشعب الكوردي، مطالبة بالإصلاح والتغيير بكوردستان.

وأشار سيادته إلى أن الإقليم لم يتقدم خطوة في طريق إنهاء حالة الإدارتين، وفيما يتعلق بالمشكلات مع (بغداد)، إضافة إلى الوضع الاقتصادي والمالي الحالي.

وأوضح الأمين العام السابق ليككرتوو إلى أن العدالة لم تأخذ مجراها، بحق من أهدر دماء الشباب، أثناء أحداث شباط، وما تلاها.

ذوو الشهداء يستذكرون أبناءهم الضحايا

وفي يوم الإثنين الموافق ٢٠١٤/٢/١٧ أحيا ذوو شهداء حراك شباط، والأيام التي تلته، الذكرى السنوية الثالثة لسقوط أبنائهم بنيران عناصر السلطة. وقامت عائلات عشرة من الشهداء بزيارة قبور أبنائها، ضحايا المجزرة التي ارتكبتها السلطة قبل ثلاثة أعوام، في مواجهة المتظاهرين، المطالبين بالإصلاح والتغيير في إقليم كوردستان.

وكان قد سقط كل من: (هردي) و(ريزوان) و(كرميان) و(سركيو) و(بلال) وخمسة آخرين قتلى، بالإضافة إلى عشرات الجرحى، على أيدي مسلحي السلطة في مدن (السليمانية) و(جمجمال) و(حلبجة)

وكرميان، أثناء التظاهرات الشعبية السلمية العارمة، التي طالبت بمحاربة الفساد، وإجراء إصلاحات سياسية وإدارية في كوردستان.

الدكتور مثنى أمين: حراك ١٧ شباط حقق مكاسب جمة

من ناحيته قال القيادي الإسلامي الدكتور (مثنى أمين): إن الحراك الجماهيري في السابع عشر من شباط عام ٢٠١١، تعد ذكراه يوماً تاريخياً بامتياز للشعب الكوردي، وللتجربة السياسية لإقليم كوردستان، مبيناً أن المظاهرات آنذاك نقلت الحالة السياسية نقلة نوعية.

وعبر الدكتور (مثنى أمين)، في تصريح خاص لـ(الحوار)، عن اعتقاده بأن لأحداث السابع عشر من شباط مكتسبات عدة، لخصها بالقول: "بروز الشارع كقوة ضاغطة وفاعل سياسي في المعادلة الداخلية للإقليم، فأصبح هذا الشارع يعبر عن نفسه، حيث كان يتحرك فقط مطالباً بخدمات جزئية، لم تكن متبلورة في شكلها الحالي، وهو الحديث عن النظام السياسي، والتغييرات والإصلاحات الجوهرية، المطلوبة في هذا النظام السياسي الكوردستاني"، مردفاً: "ظهور الشارع السياسي الكوردي اللا حزبي.. الشارع غير المؤدلج، وغير المعنون بعنوان سياسي معين، أو لافتة سياسية، فهو قوي، لكنه عفوي، فهذا أبرز إنجاز ومكتسب لحراك ١٧ شباط".

وزاد (أمين): "توحد المعارضة، كان إنجازاً كبيراً، يعود فضله، بعد الله تعالى، لحراك ١٧ شباط. وهذه الأحزاب الثلاثة كانت لها أجندات مختلفة، ولكنها بعد ذلك توحدت على شكل جبهة، وطرحت حزمة إصلاحات عرفت بالرزنامات الستة. موضحا: أن مكتسباً آخر للحراك الجماهيري في ١٧ شباط، هو كشفه الوجه الحقيقي للنظام السياسي الكوردي الحالي، بأنه لا يعبأ بأرواح المدنيين، ومستعد للقتل إذا تحرك الشارع.

ولفت الدكتور (مثنى أمين)، أحد قادة ميدان السراي بالسليمانية، إلى أن من المكتسبات الأخرى للحراك في شباط، هو قدرته على إحداث شرخ كبير، فيما يعرف بـ(الاتفاقية الاستراتيجية) بين الحزبين الحاكمين، هذه الاتفاقية التي عطلت الحياة السياسية بكوردستان، وقسمتها إلى منطقتي نفوذ في أربيل والسليمانية. متابعاً بالقول: "تنامي الوعي، ودور الشباب، والتخلص من حاجز الخوف، إنجاز آخر يضاف إلى إنجازات ومكتسبات الحراك الجماهيري في ١٧ من شباط، وهي بمجملها انعكست على نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة، حيث انحسرت أصوات طرف سياسي معين، وهو طرف في السلطة، بشكل كبير.

وطيلة الـ٦٢ يوماً، كانت أحزاب المعارضة الثلاثة "الاتحاد الإسلامي والجماعة الإسلامية وحركة التغيير" حاضرة بقوة في مشهد التظاهرات، حيث تبنت مطالب المتظاهرين، وضغطت على السلطة، من خلال نوابها في البرلمان، للاستجابة لها.. ولم تكتف بذلك، بل أدرجتها ضمن الرزنامات الست، التي دخلت على أساسها في اجتماعات خماسية مع الاتحاد الوطني والحزب الديمقراطي، لأجل إخراج الاقليم من أزماته السياسية والإدارية، من قبيل القضاء على الفساد، وقطع دابر التدخلات الحزبية في الشأن الحكومي. وبدل أن تستجيب السلطة للمطالب الشعبية، شرعت بدفع الآلاف من عناصرها المسلحة إلى قمع المتظاهرين بقسوة، واعتقال العشرات من النشطاء المدنيين وتعذيبهم، الأمر الذي زاد من الاحتقان السياسي في إقليم كوردستان.

ومنذ ذلك الحين، وإلى لحظة كتابة هذا التقرير الصحفي، تعيش كوردستان حالة مد وجزر سياسي، خاصة مع تجاهل السلطة لقرارات البرلمان، المتعلقة بالاستجابة لمطالب المتظاهرين، وتسليم المتورطين في مقتل مدنيين بالسليمانية أثناء أحداث ١٧ شباط□

حكومة الإقليم المرتقبة وعراقيل تشكيلها

إعداد: المحرر السياسي

✍ مرت شهور على إجراء الانتخابات البرلمانية في إقليم كوردستان دون أن يلوح في الأفق ما يشير إلى تشكيل حكومة جديدة. وكانت الانتخابات البرلمانية الكوردستانية قد أجريت في الحادي والعشرين من شهر أيلول من العام الماضي ٢٠١٣، وفازت خمسة أحزاب رئيسة في الانتخابات، وهي بحسب عدد الأصوات "الحزب الديمقراطي، وحركة التغيير، والاتحاد الوطني، والاتحاد الإسلامي، والجماعة الإسلامية".

وحصلت ثلاثة أحزاب صغيرة أخرى على مقعد واحد لكل منها من مقاعد البرلمان، البالغ عددها ١١١ مقعداً، ١٠٠ مقعد عام، و١١ مقعدا للأقليات، وفق نظام الكوتا.

وعلى هذا الصعيد، قال الأكاديمي والباحث السياسي (ريبوار بابكه يي) في تصريح لـ(الحوار): إن العراقيل التي تحول دون تشكيل حكومة جديدة مرتبطة بعدة أسباب موضوعية وداخلية، وتابع: "الأسباب الموضوعية متعلقة بنتائج الانتخابات، فالنتائج التي حصلت عليها الأطراف المشاركة في

الانتخابات، أدت إلى عدم تمكن أي حزب من تشكيل الحكومة لوحده، لعدم حصول هذه الأحزاب على أكثر من نصف المقاعد، وتغيير شكل المشاركة في الانتخابات، من المشاركة بقائمة واحدة لحزبين، أو أكثر، إلى المشاركة بقوائم عدة مستقلة".

وبين (بابكه يي): أن "عدم التزام الحزبين الرئيسين بالاتفاقية الاستراتيجية، فيما يخص بند كيفية المشاركة في الانتخابات، من مشاركة بقائمة واحدة، إلى المشاركة بقائمتين مستقلتين، يأتي ضمن الأسباب الموضوعية المشار إليها آنفاً، فضلاً عن شكل الحكومة من حكومة ائتلافية، إلى حكومة ذات قاعدة عريضة، والتي أكدت عليها الأطراف الفائزة في الانتخابات، وهذا يعني زيادة في المطالب".

وأشار (بابكه يي) إلى أن من الأسباب الداخلية، التي عرقلت تشكيل الكابينة الثامنة لحكومة إقليم كوردستان، هي - حسب اعتقاده - عدم الالتزام بالاستحقاق الانتخابي، واللجوء إلى فرض سياسة الأمر الواقع، التي يفرضها (الاتحاد الوطني الكوردستاني)، ومشاكله الداخلية، مما ينعكس سلباً على مجريات محادثات تشكيل الحكومة، بالإضافة إلى عدم التوصل إلى الاتفاق بشأن توزيع المناصب بين الأحزاب الفائزة في الانتخابات.

وتطرق الأكاديمي والباحث السياسي (ريبوار بابكه يي) إلى جملة حلول لتجاوز عراقيل تشكيل الحكومة، منها: "الاعتماد على الاستحقاق الانتخابي كأداة شرعية ومنطقية، بمعزل عن الأدوات الأخرى، والابتعاد عن ثقافة تبني المكاسب الحزبية الضيقة، والتوجه نحو ثقافة تحقيق المصالح والأهداف العامة من خلال تشكيل الحكومة"، وختم قائلاً: "يجب على الأطراف، التي قررت أن تشارك في الحكومة المقبلة، إبداء المرونة، وعدم الإصرار على التمسك بمطلب معين. أما في حال فشل الجهود في تشكيل الحكومة على أساس قاعدة عريضة، عندئذ يجب اللجوء إلى شكل آخر لتشكيل الحكومة، كالحكومة المؤتلفة من الحزبين".

هذا، وقد أجرت الأطراف السياسية الفائزة في الانتخابات سلسلة مباحثات لمناقشة تشكيل الحكومة الجديدة. وقام وفد الحزب الديمقراطي برئاسة (نيجيرفان بارزاني) بعدة زيارات شملت الأحزاب الخمسة الرئيسة، وأحزابا صغيرة أخرى، للتباحث حول آلية تشكيل الحكومة وتوزيع المناصب. وأيدت أحزاب المعارضة تشكيل حكومة ائتلافية ذات قاعدة عريضة، وأعلنت الانضمام إليها بشروط، الأمر الذي لاقى ترحيباً من قبل قطاع عريض من مواطني إقليم كوردستان.

وعلى الصعيد ذاته، أوضح النائب عن

كتلة (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني)، في برلمان كوردستان، الدكتور (شيركو جودت)، في تصريح خاص لـ(الحوار): أن هناك عدة أسباب تعوق تشكيل حكومة جديدة في إقليم كوردستان، "منها: المصالح السياسية المرتبطة بالحزبين الحاكمين، وظاهرة الإدارتين، ومناطق النفوذ.. إدارة المنطقة الصفراء، وإدارة المنطقة الخضراء"، مبيناً أن على الحزبين إدراك التغيرات الحاصلة في الخارطة السياسية، بعد الانتخابات البرلمانية.

وأضاف الدكتور (شيركو جودت): "هناك أسباب تتعلق بمدى استعداد الأطراف للتنازل عن المناصب التي يطالبون بها في الحكومة المرتقبة"، لافتاً إلى أن هذا لا يعني أن لا يحصل الجميع على استحقاقاتهم الانتخابية، لا سيما أحزاب المعارضة، التي تمتلك ثقلاً سياسياً ونيابياً، يؤهلها لشغل مناصب سيادية في الحكومة المقبلة.

وفيما يتعلق بالعامل الخارجي، وأثره على مسار تشكيل الحكومة، أجاب (جودت): "بالتأكيد، للعامل الخارجي، وأقصد به تدخلات دول الجوار، تأثير جلي لا يمكن إنكاره، لأنها تخشى على مصالحها السياسية، والأمنية، والاقتصادية في إقليم كوردستان، وهذه الدول تحبذ تشكيل حكومة موسعة، لكن بما ينسجم وأجنداتها".

وأشار (جودت) إلى أن العلاقات بين أربيل وبغداد، والزيارات المتكررة للوفود الكوردية إلى بغداد، لإيجاد حلول لمسألة تصدير النفط الكوردستاني، تمثل انشغالاً عن الشأن الداخلي، خصوصاً خطوات تشكيل الحكومة.

وبالنسبة للاجتماعات، التي يعقدها رئيس الإقليم مع الأطراف السياسية، لبحث معوقات تشكيل الحكومة، أردف الدكتور (شيركو جودت) بالقول: "أحسب أن تدخل رئيس الإقليم، في مسار تشكيل الحكومة، هو تدخل معنوي فقط، باعتباره الشخص الأول المنوط به إدارة البلاد".

ويواجه تشكيل الحكومة عراقيل عديدة، لخلافات بين الحزبين الديمقراطي والاتحاد الوطني، فضلاً عن التباينات في الرؤى والأجندات للأطراف السياسية (الاتحاد الإسلامي، وحركة التغيير، والجماعة الإسلامية).

ودشنت منظمات المجتمع المدني، ومراكز حقوقية، حملات للتظاهر والاعتصامات، احتجاجاً على تأخر تشكيل الحكومة المقبلة.

ويبقى المواطن الكوردستاني مندهشاً ومذهولاً لهذا التأخر في تشكيل الحكومة، رغم مرور خمسة أشهر على إجراء الانتخابات البرلمانية، دون أن يحصل على إجابات شافية على أسئلته، حول مَنْ مِنْ

الأحزاب يتحمل وزر تأخر تشكيل الحكومة، وحدوث الفراغ القانوني في إقليم كوردستان؟!

ضحايا الشتاء

تقرير: محمود وليد البوزيني

لم تكف المعاناة المفتتة بقسوتها طموحات هذا الشعب، من سياسات القمع والقتل والتشريد والتهجير، وأدوات التعذيب، وانتهاك الأعراض، وتهديم البيوت، لإجبار الناس ليعيشوا في آهات أخرى، حتى جاءت الموجة الثانية المؤلمة، لتُدخل هؤلاء الناس في حجرة أخرى من العذاب، لتعصر حياتهم، وتدفن آمالهم، رغماً عنهم.

سوريا الأبية... موطنٌ يبكي منذ أكثر من ثلاث سنوات، ولا وجود لاستجابةٍ تحتضن نداء أبنائه، ورغم جميع الظروف القاهرة التي تواجه هذا البلد النازف دماً، جاءت موجة أخرى، لتسفك آمال العودة، بطقس بارد جداً، يحمل خشونة العواصف الثلجية شديدة البرودة، في خيم (تل سرحان) في البلد المجاور (لبنان)، حيث يعيش أكثر من (٨٣٥,٠٠٠)لاجئ في مخيمات ومبان غير مستخدمة، أو مع أصدقاء، أو أقارب، وفقاً لما أوردته وكالة "رويترز" في أخبارها عن تساقط الثلوج، للمرة الأولى هذا الشتاء، على أجزاء من (لبنان)، فانتهز الأطفال اللاجئون، الذين فروا من الحرب في سوريا، الفرصة ليتقاذفوا بكرات الثلج خارج خيامهم، علّهم ينسون ضياع طفولتهم.

ووصفت (رويترز) أن سوريا في حالة لا تُحسد عليه أبداً، وأن الثلوج أشاعت الفوضى في أنحاء المنطقة، وأوقفت أيضاً الجسر الجوي الإنساني الآخر، الذي كان وسيلة بديلة لمد يد العون، والذي كان من المفترض أن يبدأ في جلب الإمدادات من العراق إلى المناطق الكوردية بشمال شرق سوريا، لكن لا يمكن الوصول براً لعشرات الآلاف من الأشخاص، لتزداد الأحزان التي أعطت الدور هذه المرة للعواصف الثلجية قارصة البرودة، التي غطت ببياضها المساكن المحطمة أساساً بصواريخ النظام الحاكم، فملأ الرجال أكياساً بالتراب ليثبتوا بها الخيام، ووضعوا إطارات السيارات والطوب فوق الهياكل الخشبية الضعيفة، حتى لا تعصف بها الرياح وتدمر خيمهم ومساكنهم الهشيشة.

هذه العواصف كانت سبباً لإصابة الأهالي بالأمراض وقتل الأطفال، حتى ارتفعت حصيلة ضحايا موجة البرد في المناطق السورية المحاصرة في الداخل، وفي مخيمات الخارج، إلى ١٢ طفلاً، ١٠ في الداخل، واثنان في لبنان والأردن، بحسب الشبكة السورية لحقوق

الإنسان. أما فيما يتعلق بأساليب التعذيب المستمر من قبل الجيش النظامي وأعوانه، فقد كانت سبباً آخر لهلاك الشيوخ، وإرهاق الشبان، فمأساتهم كانت دافعاً لصمتهم.

الفقر والجوع والظلم وسفك الدماء، والطقس غير الرحيم، الذي شلَّ حركة الطائرات، وشحنات المساعدات، وحال دون وصولها، قد أصبح جديرا بأن يحمل لقب "الموت البطيء"، والذي أدى إلى قول أحد اللاجئين المتضررين: "العاصفة ستجهز علينا".

شبح الموت الخطير يرتع في أحشاء سوريا، في حين كثر الكلام في البلدان العربية من قبل عشاق الكراسي الذهبية، الذين بقوا جالسين يتفرجون دون حراك، أما رجال الأعمال الذين لا يستطيعون أن يحركوا جيوبهم، ويدفعوا دولاراً واحداً، ليُسكِنوا هؤلاء البشر في بيوت آمنة ودافئة، وكأنما أعينهم عُميت عن رؤية الأطفال وهم يتجمدون فيموتون.

هكذا أصبحت حالة الشعب السوري، الذي لا يسعه أن يحظى بفرصة ليعيش يوماً جديداً، وتقف ضده الصعوبات الجارحة، لتحرمه البسمة البريئة التي يحلم بوضعها على وجنتيه، منذ زمن، ولو لفترة قصيرة، لتمنعه وتجبره على أن يبقى في دوامة الألم□

مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تقرير: الشيخ فائق نامق

شارك الشخصية الدعوية الكوردية الشيخ (فائق نامق) في المؤتمر الثالث للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، والذي نظمه ديوان الوقف السني تحت شعار (العلم يدعو للإيمان)، في يوم الأربعاء الموافق ٢٩-١-٢٠١٤.

وتألفت اللجنة المشرفة على المؤتمر من الدكتورة (نجاة العبيدي) رئيساً، و (فؤاد القادري) عضواً، و(رعد الخزرجي) عضواً.

وبدأت فعاليات المؤتمر بقراءة آيات من الذكر الحكيم، أعقبه كلمة الدكتور (محمود الصميدعي) رئيس ديوان الوقف السني، ألقاها نيابة عنه الدكتور (إسماعيل علي طه) وكيل الديوان.

بعدها جرى استعراض جملة بحوث متعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصل عددها إلى خمسين بحثاً.

وخرج المؤتمر بتوصيات عشرة، منها: إصدار مجلة، وتقديم برامج تلفزيونية وإذاعية، وإلقاء محاضرات في وسائل الإعلام بخصوص الإعجاز العلمي.

وفي ختام فعالياته منح المؤتمر جوائز تقديرية لبعض الشخصيات التي نالت بحوثها مراتب متقدمة في المؤتمر □



قبول الآخر هو الحل



محمد واني

✍ ما يشهده الواقع العراقي من نزاعات وصراعات وإرهاب وأزمات لا أول لها ولا آخر ، سببها يعود بالأساس إلى عدم قبول العراقيين لبعضهم البعض، الشيعي لا يقبل بالسني، ويرى أنه وراء كل ما جرى له من مظالم تاريخية، والسني يعتبر الشيعة طابورا خامسا لدولة إيران الصفوية، ينفذ أجندتها في العراق والمنطقة، والاثنان لا يثقون بالكوردي، ولا يرونه إلا في صورة المتمرد على قوانين البلد وثوابته، ولديه مشروع دائم للانفصال والاستقلال، والكوردي أيضا لديه تصور سلبي للغاية تجاه عرب العراق، بشكل عام، ويراهم قوة استعمارية احتلت أرضه بالقوة .. وهذه النظرة "الإقصائية" لم تنحصر في الجانب السياسي، بل امتدت إلى جوانب أخرى اجتماعية وثقافية أيضا ..هذه المشكلة قد تكون مشكلة مجتمعات الشرق الأوسط أيضا، ولكنها لدى العراقيين برزت أكثر..

كان من الممكن أن تفتح آفاق جديدة في العراق بعد ٢٠٠٣، لو أن الأحزاب المشاركة في العملية السياسية تعاونت فيما بينها لإدارة الدولة، وتخلت عن رفض بعضها بعضا، وخاصة الائتلاف الشيعي و"المالكي"، الذي تولى الحكم، فلو قبل بالشراكة الوطنية، واحتكم إلى الدستور، وتعاون مع شركائه السياسيين في اتخاذ القرارات المصيرية للبلاد، ولم يمارس سياسة الإبعاد والتهميش بحقهم، بحجة الأكثرية، لما تفاقمت الأوضاع سوءا بهذا الحد .. هذه المشكلة ليست مشكلة سياسية، بقدر ما هي مشكلة حضارية وثقافية، فكلما ازداد المستوى الحضاري لمجتمع، أصبح أكثر انفتاحا على الآراء المختلفة، والعكس أيضا صحيح، فكلما هبط المستوى الحضاري لمجتمع، وكثر فيه الجهل، قلت فيه مساحة التفاهم المشترك بين أفراده، وتشبث كل واحد منهم بآرائه، وقاتل من أجلها، وإن كانت على خطأ .. كما هو الحال في العراق .

وليس بالضرورة أن نتطابق مع الآخرين حتى نتوافق معهم، وقد نتفق معهم في نقاط، ونخالفهم في نقاط أخرى، قد لا نكون متفقين في السياسة، أو الدين، ولكن تجمعنا المواطنة، أو القومية، أو اللغة، أو المدينة والقرية الواحدة، أو تجمعنا العشيرة، أو الأسرة، الواحدة، وإذا لم نلتق في كل هذا، سنلتقي حتما في "الإنسانية"، وهي أسّ العلاقات بين البشر .. ولكننا لا ننظر إلى الأمور بهذا الشكل، مع الأسف، فبمجرد أن نختلف في جانب حتى يجر هذا الاختلاف جوانب أخرى، وتحدث القطيعة الشاملة، وحركة الانشقاقات الكثيرة التي تحدث في صفوف الأحزاب العراقية، الكوردية والعربية، خير دليل على جهلنا بالعلاقات الإنسانية، وعدم نضوجنا الحضاري□